فاتحة الكتاب

"دراسة صوتية"

دكتور

محمد عباس أحمد موسى

مدرس بقسم أصول اللغة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، وعلمه البيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله ، المبعوث بأفصح لسان وأوضح بيان ، وعلى آله وصحبه ، الذين كانوا أكرم أنصار وخير أعوان.

وبعد،،،

فإن القرآن الكريم حياة أمة الإسلام ، لا تبتعد عنه لحظة إلا وتبتعد عنها معالم الحياة ، كما أن حياة لغتنا العربية مستمدة من هذا الكتاب الكريم ، ولا سبيل لفهم تلك اللغة إلا بدراسة القرآن دراسة متعمقة ، تبرز مدى ما فيه من أسرار لا تنفد ، وعجائب لا تنتهى، ومن هذا المنطلق هب العلماء والباحثون من شرق العالم وغربه، جنوبه وشماله ، من القدماء والمحدثين ، مسلمين ومستشرقين من غير المسلمين ، فقاموا بدراسة العربية ، على هدى ألفاظ القرآن الكريم ، فأماطوا اللثام عن إعجازه ، الذى قهر أفصح الفصحاء، وأعجز أعظم البلغاء ، حيث توفر هؤلاء الدارسون على طرق أنواع شتى من الدراسات اللغوية القرآنية ، وستظل دراسة اللغة من خلال القرآن ، معينا لا ينضب ، وعطاء لا ينتهى ، وبحرا لا ساحل له ، ومن جهة

أخـرى ، سـيظل القرآن الكريم سرا من أسرار الله ، يعطي منه بقدر ، لمن جاهد وصبر ، فى الوقت الذى يشاء ، والمكان الذى يشاء ، وبالقدر الـذى يشـاء ، ومن هنا رأيت فى نفسى شيئا من الشوق العميق، الذى يقودنى إلى خوض غمار بحث متعلق بآي من كتاب الله الكريم ، دراسة صـوتية ، فكـان أن تلمسـت غايـتى فـى سورة ، هى أكثر ما يردده المسـلمون مـن القرآن ، وأكثر ما يحفظونه - على الرغم من اختلاف ثقافاتهم ، وشعوبهم ، وبيئاتهم - ألا وهى فاتحة الكتاب ، فهى البداية والغايـة ، والكافـية والشافية ، وأم القرآن ، والسبع المثانى ، لذا كان اختيارى لهذا البحث وهو "فاتحة الكتاب، دراسة صوتية " فالله أسأل أن يمنحـنى التوفيق والسداد ، والهداية والرشاد حتى أساهم بقدر يسير فى خدمـة كـتاب الله الكريم ، ولغة نبيه المصطفى الأمين ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

فضل سورة الفاتحـة .

سـورة الفاتحـة ، وهى سبع آيات ، وعشرون كلمة ، ومائة و أربعـون حـرفا ، واختلف العلماء فى نزولها ، فقيل : نزلت بمكة وهو قـول أكثر العلماء ، وقيل : نزلت بالمدينة ، وهو قول مجاهد ، وقيل : نزلـت مرتيـن بمكـة ومرة بالمدينة ، وسبب ذلك التنبيه على شرفها وفضـلها ولهـا عـدة أسماء ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى

وفضله ، فأول ذلك " فاتحة الكتاب " سميت بذلك لأن بها افتتح القرآن ، وبهـا تفتح كتابة المصاحف ، وبها تفتتح الصلاة الثانى " سورة الحمد " سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله ، الثالث " أم القرآن " سميت بذلك لأنها أصـل القـرآن ، وأم كـل شئ أصله ، وقيل : هى إمام لما يتلوها من السـور ، الـرابع " السبع المثانى " سميت بذلك لأنها تثنى فى الصلاة ، ويقـرأ بهـا فى كل ركعة ، وقيل : لأن الله تعالى استثناها لهذه الأمة ، وادخـرها لهـم ، لـم ينزلها على غيرهم ، وقيل لأنها أنزلت مرتين ، الخامس " الوافية " سميت بذلك لإنها لا تقسم فى القراءة ، أثناء الصلاة كما يقسم غيرها من السور ، السادس " الكافية " سميت بذلك لأنها تكفى عن غيرها فى الصلاة ، ولا يكفى عنها غيرها [1].

عدد آيات الفاتحة:

اخـتلف أهل العلم فى كون البسملة آية من الفاتحة ، أم أنها آية مستقلة فى أول كل سورة كتبت فى أولها ، أو بعض آية من كل سورة ، أو هـى كذلك فى الفاتحة دون غيرها ، أو أنها ليست بآية فى الجميع ، وإنما كتبت للفضل ، وقد جزم قراء مكة والكوفة بأنها آية من الفاتحة ، ومن كل سورة [2]

---

(١) ينظر : تفسير الخازن المسمى " لباب التأويل فى معانى التنزيل ج١ ص : ٢١ .
(٢) فتح القدير ج١ ص : ١٧ ، وتفسير الفخر الرازى ج١ ص : ٢٠١ بتصرف .

وعلى ضوء ذلك سأتناول البسملة باعتبارها آية من الفاتحة ، زيادة في الفائدة، وأيضا لأنها ذكرت كآية في قوله تعالى {إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم}.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى ما يلى :-

أولا : المقدمة :

المبحث الأول : أصوات فاتحة الكتاب دراسة وصفية .

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : الأصوات الصامتة .

المطلب الثاني : الأصوات الصائتة ، وأنصافه الحركات .

المبحث الثاني : من الظواهر الصوتية في فاتحة الكتاب.

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : الإبدال .

المطلب الثاني : ويشتمل على النقاط التالية :

أولا : الإدغام .

ثانيا: الإمالة .

ثالثا: القلب المكاني.

رابعا: الهمز و التسهيل .

تعقيب عام : ويتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

فهرس المصادر والمراجع

المبحث الأول
أصوات الفاتحة (دراسة وصفية)

توطئة:

لا يخفى أن الأصوات فى اللغة هى لبناتها الرئيسية ، منها يتكون النسيج اللغوى وتتألف الصيغ والتراكيب ، ومن ثم فقد عنى بها فى كل اللغات حصرا ووصفا ، وقد حظيت اللغة العربية باهتمام بالغ من حيث عدد أصواتها ووصفها وصفا دقيقا ، وفى ضوء ذلك سأتناول الأصوات فى فاتحة الكتاب ، فى مطلبين على النحو التالى :

المطلب الأول : الأصوات الصامتة

المطلب الثانى : الأصوات الصائتة ، وأنصاف الحركات

المطلب الأول الأصوات الصامتة

وقد أطلق عليها المحدثون عدة مصطلحات ، منها " الحروف الصامتة أو الصوامت ، أو السواكن "[1] بيد أننى آثرت استخدام "الصامتة " دفعا للبس الذى قد يخلط بينها وبين الحرف المشكل بالسكون، وقد فضلت استعمال " الصائتة " بالنسبة للحركات حتى يكون

(١) ينظر : مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨ ص ١٨٢ .

ما بينهما من جناس من العوامل إلى تساعد على إبراز قيمتها الصوتية، ومـــن أهم سمات الأصوات الصائتة صفة " الجهر" وذلك لاندفاع الهواء معهـــا دون عـــائق يعترض أو يضيق من مجرى الهواء ، وهو أهم ما يمـــيزها عـــن الأصـــوات الصامتة ، وقد أطلق المحدثون على الأصوات الصـــائتة مصـــطلحات عـــدة: مـــنها أصـــوات اللين وأصوات العلة[1] والحـــركات، وهـــذا الصـــنيع من قبل المحدثين ليس جديدا على الدرس الصـــوتى عـــند القدمـــاء ، فهـــذا ابن جنى يسمى " الحركات الطويلة " بالمصوتات " أو " الحروف المصوتة " وقد راعى ابن جنى خاصية مهمة مـــن خـــواص الحركات بصفة عامة ، وهى قوة الوضوح السمعى ، ولا فرق فى ذلك بين " صائت " و " مصوت " ومن ثم فليس من المبالغة فى شـــئ إذا رأى بعـــض علمائنا المنصفين أن هذه المصطلحات من ابتكار النحاة العرب فى معظمها، وعلى ضوء ما سبق سأتناول فيما يلى دراسة تلك الأصوات بأقسامها بادئا بالأصوات الصامتة على النحو التالى:

أولا : صوت الهمزة :-

وهـــو مـــن الأصـــوات التى كانت مثار خلاف بين العلماء قديما وحديـــثا ، مـــن حيـــث مخرجها وصفاتها ، فالقدماء جعلوا الهمزة من حروف الجوف ، حيث يقول الخليل :" وأربعة أحرف جوف وهى : الواو

---

(٢) لمزيد من التفصيل : ينظر : علم اللغة العام – الأصوات دكتور / كمال بشر ص٩١ دار المعارف ، وأيضا : الصائت العربى مكانته وموقعه فى الفكر اللغوى عند العرب دكتور / عبد المنعم عبد الله محمد، ص ٦٠٨ بحث بمجلة الزهراء وحوليات كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة ١٩٩٥م .

والياء والألف والهمزة ، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف ، فلا تقع فـي مدرجـة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدارج اللهـاة ، إنمـا هى هاوية فى الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجـوف[1] أما سيبويه فيرى أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق ، وأنها صـوت شـديد مجهـور ، حيث يقول :" فأقصاها مخرجا الهمزة والياء والألف ... " [2] ثم يصفها بالجهر قائلا :" فالمجهور الهمزة والألف "[3] وتابعه فى ذلك أبو الفتح عثمان بن جنى[4].

أمـا المحدثـون من علماء الأصوات فيكادون يجمعون على أن الهمزة صوت صامت حنجرى انفجارى ، يحدث إثر انسداد الفتحة الموجودة بين الوتريـن الصـوتتين ، وذلـك بضـغط الهواء فيما دونهما ، ثم ينفرج الوتـران فيـنفذ الهـواء مـن بينهما محدثا صوتا انفجاريا هو صوت الهمـزة[5]. هـذا مـن حيث مخرجها ، أما من حيث وصفها فقد اختلف المحدثـون فيما بينهم بصدد وصف هذا الصوت فقال بعضهم :" الهمزة صـوت شـديد مجهـور "[6] بيـنما رأى بعضهم " أنها صوت حنجرى

---

(١) العين للخليل بن أحمد جـ ١ ص٥٧

(٢) الكتاب لسيبويه جـ ٤ ص ١٣٣

(٣) الكتاب جـ ٤ ص ١٣٤

(٤) سر صناعة ا لأعراب لابن جنى ج ١ ص ٤٦

(٥) علم اللغة ـ مقدمة للقارىء العربى ص :١٥٧ .

(٦) ينظر : دراسات فى فقه اللغة د/ صبحى الصالح ص ٣٧٨ دار العلم للملايين

مهمـــوس"[1] وتوســط فــريق ثالــث مقررا أن الهمزة صوت شديد لا بـــالمجهور ولا بـــالمهموس[2] وقــد أقــبل جل العلماء على هذا الأخير وعــدوه رأيـــا راجحا دقيقا ، وأنه كان نتيجة أن وضع الأوتار الصوتية حال النطق بالهمزة لا يسمح بوجود ما يسمى بالجهر أو الهمس [3]

الثاني : صوت الباء :-

ويــنطق حينما تنطبق الشفتان انطباقا تاما ، ومن ثم فهو صوت شــديد ، مجهور[4] مستفل ، ذلق والباء هنا فى " بسم " لها خاصية من خــلال السياق الذى وضعت فيه ، يقول القتيبى :" إنما طولوا الباء لأنهم أرادوا ألا يســتفتحوا كــتاب الله إلا بحــرف معظم، وكان عمر بن عبد العزيــز يقــول لكــتابه :" طولوا الباء، وأظهروا السين، ودوروا الميم، تعظيما لكتاب الله " وقال أهل الإشارة: الباء حرف منخفض فى الصورة، فلمــا اتصل بكتبة لفظ الله ارتفعت واستعلت ، فنرجو أن القلب لما اتصل بخدمــة الله عــز وجل أن يرتفع حاله ويعلو شأنه[5] وهذه أمور تستنبط

---

(١) أصوات اللغة العربية د/ عبد الرحمن أيوب ص ١٨٣ مكتبة الشباب المنيرة ، مناهج البحث فى اللغة د/ تمام حسان ص ٩٧ ، المدخل إلى علم اللغة ص ٥٦ .

(٢) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص ٩٠ مكتبة الأنجلو المصرية.

(٣) علم اللغة العام الأصوات د/ كمال بشر ص ١٤٣ بتصرف

(٤) المجهور عند القدماء " حرف أشبع الاعتماد فى موضعه، ومنع النفس أن يجرى معه، حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت ، أما عند المحدثين: فهو صوت يهتز له الوتران الصوتيان ، اهتزازا منظما "
ينظر : سر صناعة الأعراب جـ١ ص ٦٠ ، علم اللغة العام ـ الأصوات ص ١٠٩ ـ ١١٠

(٥) ينظر : معالم الأصوات العربية د/ عبد المنعم عبد الله محمد ص ١٦٦ بإيجاز.
تفسير الفخر الرازى المسمى (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) للإمام محمد الرازى ، المجلد الأول ص ١١٣ دار الفكر ط أولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م

بـــالحس الشـــديد، والقلـــب الرقيق، بيد أن لها قربا من بعض الظواهر اللغويـــة المقررة، وهى هنا أن الحرف لـــه دلالة، سواء أكان من ناحية الصـــوت أم مـــن ناحية الخط ، وكما قيل : فإن زيادة المبانى تدل على زيادة المعانى ، فهذا دليل أكيد على أن الحروف لها معان تزيد بزيادتها.

الثالث : صوت التاء :-

وهـــو صـــوت أسنانى لثوى[1] شديد مهموس[2] مرقق ، ينطق حينما يلتصق طرف اللسان بداخل الثنايا العليا ومقدمة اللثة ، وينخفض مؤخر اللسان، لإغلاق المجرى الأنفى إلى درجة تمنع الذبذبة أن تحدث، ومن ثم تمنع وجود صفة الجـــهر[3] .

الرابع : صوت الجيم :-

مـــن أصوات وسط الفم مع وسط السان ،بمحاذاة الحنك الأعلى، وهـــو ما أطلق عليه القدماء شجر الفم ،والجيم صوت انفجارى[4]، وله عـــدة صور نطقية، لا مجال للحديث عنها فى هذا المقام ،لأنه لم يرد فى فاتحة الكتاب

---

(١) الأسنانى اللثوى : ما كان مخرجه عند اتصال طرف اللسان بالأسنان العليا ومقدمة اللسان باللثة ، وهى أصول الثنايا ، ينظر : مناهج البحث فى اللغة ص ٨٤ بتصرف .

(٢) المهموس عند القدماء حرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى يجرى معه النفس " سر الصناعة ج ١ ص ٦٠

(٣) ينظر : مناهج البحث فى اللغة د / تمام حسان ص ٩٥ بتصرف

(٤) ينظر : لهجات العرب دراسة تحليلية ص: ٢٣٨ بتصرف

الخامس: صوت الحاء:-

وهو صوت يخرج من الحلق[1] من أهم صفاته الرخاوة[2] والهمس، ولهذا عده العلماء المقابل المهموس لصوت العين[3]، ولذلك قال الخليل :" ولولا بحة فى الحاء لأشبهت العين ، لقرب مخرجها من العين"[4] وقد ورد صوت الحاء فى فاتحة الكتاب فى ثلاثة مواضع ، وهى " الحمد لله " و " الرحمن الرحيم " .

السادس: صوت الخاء:-

وهو من الأصوات الحلقية[5] عند القدماء، وصفه العلماء بأنه : صوت رخو، مهموس، مرقق ، وقد يعتريه التفخيم فى بعض المواضع ، وينطق بنفس الطريقة التى ينطق بها صوت العين ، مع فرق واحد، أن الأوتار الصوتية فى الأخيرة لا تكون فيها ذبذبة ، ومن ثم كان صوت الخاء مهموسا[6] ولم يرد هذا الصوت فى فاتحة الكتاب ألبته ..

---

(١) الصوت الحلقى : ما كان مخرجه من الحلق ، وهو الجزء الذى بين الحنجرة والفم، أو بين الحنجرة وجذر اللسان . ينظر : الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس ص ١٨ مكتبة الأنجلو المصرية، ومناهج البحث فى اللغة ص ٨٥ .

(٢) الرخاوة : صفة فى الأصوات تقابل صفة الشدة ، والرخو هو الذى لا تشد معه الأوتار الصوتية .

(٣) العين للخليل بن أحمد ج١ ص٥٧ .

(٤) مناهج البحث فى اللغة ص ٥٣.

(٥) الصوت الحلقى : ما كان مخرجه من الحلق ، وهو الجزء الذى يقع بين الحنجرة والفم ، أوبين الحنجرة وجزر اللسان (ينظر الأصوات اللغوية ص:١٨ ، و مناهج البحث فى اللغة ص٨٥ .

(٦) ينظر : مناهج البحث فى اللغة ص: ١٠٢ بتصرف .

السابع : صوت الدال :-

وهـو مـن الأصوات التى يشترك فى تكوينها طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، ومن ثم فلا فارق بين الدال والتاء كما هو واضح ، إلا أن الـدال صـوت مجهور، والتاء صوت مهموس[1] وقد ورد صوت الدال فى فاتحة الكتاب فى ثلاثة مواضع ، كان مشددا فى موضع " الدين " ومخففا فى موضعين " الحمد " و" إهدنا " .

السابع : صوت الذال :-

وهـو مـن الأصـوات التى يشترك فى نطقها طرف اللسان مع الأسـنان العليا والسفلى ، ولذلك سماه العلماء المحدثون وصنفوه ضمن الأصـوات الأسنانية ، وقد اختفى هذا الصوت[2] فى معظم لهجات اللغة العربـية فى وقتنا الحاضر ، وذلك فرارا من الثقل إلى الخفة ، حيث إن نطقـه نطقـا صحيحا يتطلب إخراج اللسان ووضعه بين الأسنان، ولكن حيـنما يسـتبدل بصـوت الدال يصبح أخف وأسهل، لأن الدال لا تتطلب مجهـودا نطقيا مثل الذال ، والدليل على ذلك اختفاء الأصوات الأسنانية فـى معظم اللهجات الحديثة ، مثل الظاء والثاء والذال، فكل منها يحتاج إلى إخراج طرف اللسان ، ووضعه بين الأسنان، وهذا فيه من الصعوبة ما فيه ، ومن الجدير بالذكر أن صوت الذال لم يذكر فى فاتحة الكتاب إلا

---

(١) ينظر : معالم الأصوات العربية ص ١٧٠، ١٧٢ ، ١٧٣ بإيجاز.

(٢) ينظر فى الحديث عن أصوات (الذال ، والظاء ، والثاء) واختفائها : الأصوات اللغوية ص ٣٠٨ وفى اللهجات العربية ص ٦٦ ، وعلن اللغة د / على عبد الواحد وافى ص ٢٩١ بتصرف .

مـــرة واحـــدة فى قوله تعالى { الذين أنعمت عليهم } فربما يكون الثقل الـــذى يحـــدث فـــى نطق هذا الصوت من أسباب قلة وجوده فى فاتحة الكـــتاب، يدل على ذلك أيضا، عدم وجود صوتى الثاء والظاء، وهما من الأصـــوات الأســـنانية ، الـــتى تحتاج إلى جهد عضلى زائد فى النطق، وفاتحـــة الكتاب يقرؤها كل المسلمون ، وليس كل المسلمين على درجة واحـــدة من العلم والإتقان، لكن لا يصح لأحدهم ترك الصلاة ، ومن ثم قراءة فاتحة الكتاب .

الثامن : صوت الراء :

ويتم نطق الراء حين يلتقى طرف اللسان باللثة العليا ، ويفارقها عدة مرات، ويندفع الهواء من الرئتين مجدثا ذبذبة فى الأوتار الصوتية، وينحـــبس عند ملامسة طرف اللسان للثة ، لكنه لا يلبس أن ينطلق بعد افـــتراقه عـــنها ، ثم ينحبس ثانية عند ملامستها، وينطلق بعد افتراقها عـــنه، وهكذا ، ويسمع هذا الصوت على هيئة سلسلة من الانحباسات ، والانفجـــارات القصـــيرة[1]، ومـــن ثم وصف صوت الراء بأنه : صوت مجهـــور، متوســـط ، مستفل[2] منفتح، ذلق ، مكرر[3] وهذا الصوت من الأصـــوات الـــتى كـــثر ورودهـــا فى كلمات الفاتحة، فقد ذكر فى ثمان

---

(١) ينظر أصوات اللغة العربية د/ عبد الرحمن أيوب ص ٢٠٣ بتصرف

(٢) الصوت المتوسط هو الذى يحدث الهواء عند صدوره نوعا من الحفيف الذى لا يكاد يسمع ، فهو ليس كالشديد فى حدوث الانفجار ، وليس كالرخو فى نسبة الحفيف . ينظر مصطلحات لجنة اللهجات بمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(٣) الصوت المكرر : هو الذى يتردد طرف اللسان أثناء النطق به ، ويضرب فى اللثة ضربات لينة مرتين أو ثلاث . ينظر : مناهج البحث فى اللغة ص ١٠٤ .

مواضـــع، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن الراء مفخمة دائما فى فاتحـــة الكـــتاب، ولكـــن ربما تقل درجة التفخيم عند قراءة (ســـراط) بالســـين، فهى ليســـت كقراءة الصاد (صراط) ولم يرقق هذا الصوت فى فاتحة الكتاب إلا مرة واحدة فى قوله تعالى{ غير المغضوب عليهم } حيـــث أنهـــا ســـبقت بـــياء ، والياء والكسرة حينما تسبق الراء تجعلها مـــرققة، لأن الكســـر ضـــد التفخيم، ولأن التفخيم لا يأتى إلا مع الفتح ، ســـواء ســـبقه أو تـــلاه ، وأيضـــا يفخـــم إذا سبقه أو تلاه أحد حروف الاستعلاء أو الإطباق .

التاسع : صوت الزاى.

وهـــو النظير المجهور للسين[1] ، حيث تهتز له الأوتار الصوتية عـــند نطقه و يشترك فى نطقه الأسنان واللثة مع حد اللسان ، وهو من الأصوات التى لم ترد فى فاتحة الكتاب ألا فى قراءة من قرأ (زراط).

العاشر : صوت السين.

تعـــد الســـين بمـــثابة النظير المهموس للزاى ، وهذا يعنى " أن الســـين صـــوت مهمـــوس ، رخو ، مرقق ، لا يفترق عن الزاى إلا فى اهـــتزاز الأوتـــار الصوتية معها ، دون الاهتزاز مع السين "[2] وهى من أصـــوات الصـــفير ، حيـــث يشترك فى نطقها الأسنان و اللثة ، مع حد

---

(١) ينظر : مناهج البحث فى اللغة ص : ١٠٤ بتصرف .
(٢) ينظر المدخل إلى علم اللغة دكتور رمضان عبد التواب ص ٤٧ بتصرف.
وأيضا : معالم الأصوات العربية ص ١٧٦ ، ١٧٧ بإيجاز .

اللســـان وطرفه ، ومن ثم ينتج عن ذلك سماع نوع من الصفير ، نتيجة لمرور الهواء ما بين طرف اللسان واللثة ، ومن أصوات الصفير أيضا ، صوت الصاد ، لأنه يقترب من السين فى المخرج ، ولا يفترق عنها إلا فى الاطباق ولهذا فإن الإبدال بين السين والصاد فى قراءة " صراط " أو " سراط " إبدال قائم على علاقات وروابط صوتية ، تسوغ أحلال أحدهما مكان الآخر .

الحادى عشر : صوت الشين :-

وهـــى مـــن الأصـــوات الشـــجرية كما وصفها القدماء ، أى أن مخـــرجها شجر الفم أى وسطه ، ويشترك معها الجيم والياء ، وهى من الأصوات التى لم ترد فى فاتحة الكتاب البته[1].

الثانى عشر : صوت الصاد :-

ويتم تكوين هذا الصوت ونطقه، حينما يشترك طرف اللسان مع أطـــراف الثـــنايا السفلى ، وقد أشار إلي ذلك ابن جنى حيث قال :" ومما بيـــن الثنايا وطرف اللسان مخرج الصاد والزاى والسين "[2] ويتضح من ذلـــك اشـــتراك تلـــك الأصوات فى المخرج، وأيضا اشتراكها فى بعض الصـــفات ، كالصـــفير بيـــن الســـين والصاد ، وهذا ما يبرر تبادل هذه الأصـــوات كمـــا فى " صراط " و" سراط " و" زراط " وبناء على ما سبق يمكـــن وصف الصاد بأنها من الأصوات المهموسة ، الرخوة ، المطبقة،

---

(١) ينظر : لهجات العرب دراسة تحليلية ص: ٢٤٤ بتصرف .
(٢) سر صناعة الأعراب ج ١ ص ٥٣ بتصرف

الصفيرية ، وصفة الإطباق[1] هى التى تفرق بين السين والصاد، وصوت الصاد لم يرد إلا فى لفظ " صراط " على القراءة المشهورة .

الثالث عشر : صوت الضاد :-

الضـــاد مـــن أشهر أصوات العربية ، وأوسعها مخرجا ، وتكاد تـــنفرد بها لغة العرب ، لذا تسمى العربية " لغة الضاد " وهى تخرج من المـــنطقة التى تلى الشين والجيم والياء ، فهى عند القدماء[2] من بين أو حافـــة اللســـان وما يليها من الأضراس " أو من منطقة الجيم والشين، وهـــى منطقة شجر اللسان أي وسطه ، ولذا سماها القدماء :" الأصوات الشـــجرية "[3] قاصـــدين بذلك الضاد ، والجيم ، والياء ، وهذه المنطقة المســـماة بالشـــجرية أي مـــن وســـط اللسان ،مع ما يحاذيه من الحنك الأعلـــى، وعن ذلك يقول ابن جنى :" إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمـــن وإن شئت من الجانب الأيسر "[4] يعنى بذلك الضاد ، وقد جاءت الضاد فى فاتحة الكتاب مرتين " المغضوب " و " الضالين " .

الرابع عشر : صوت الطاء :-

وهـــى عند العرب القدماء صوت مجهور ، شديد ، مفخم ، عدها ســـيبويه من الأصوات المجهورة ، كما قال عنها :" لولا الإطباق لصارت

---

(١) صفة الإطباق تعنى أن اللسان مع الصاد وأخواتها يأخذ شكل الطبق ، فهو يرتفع من الخلف ومن الأمام ينظر معالم الأصوات العربية ص ١٧٣ ، ١٧٤ بتصرف .
(٢) الكتاب لسيبويه ج ٤ ص ٤٣٣ .
(٣) العين ج ١ ص ٥٨ بتصرف
(٤) سر صناعة الأعراب ج١ ص ٤٧

الطاء دالا "[1] وهذا يعنى أن الطاء هى النظير المفخم للدال عند سيبويه، وقد مال بعض المحدثين إلى رواية القدماء ، حيث يقرر :" إن الطاء مهموسة اليوم ، مجهورة عند القدماء ، ونطق الطاء العتيق قد انمحى وتلاشى "[2] ومن ثم فوصف الطاء بالجهر ، ليس محل اتفاق بين القدماء والمحدثين ، وقد تمخض عن ذلك ، وجود نوعين للطاء، إحداهما : الطاء القديمة ، والثانية : الطاء الحديثة ، وهذا بناء على وصف كل من القدامى والمحدثين لها ، فالقديمة مجهورة ، والحديثة مهموسة ، وجدير بالذكر أن صوت الطاء قد ورد مكررا فى فاتحة الكتاب مرتين فى " صراط " .

الخامس عشر : صوت الظاء :-

الظاء صوت أسنانى ، لثوى ، مهموس وهو من الأصوات التى لم ترد ضمن حروف فاتحة الكتاب وقد سبق الحديث عن الأصوات الأسنانية .

السادس عشر : صوت العين:-

وتنطق حينما يضيق الحلق عند لسان المزمار ، وتنوء لسان المزمار إلى الخلف ، حتى لا يكاد يتصل بالحائط الخلفى للحلق ، وفى الوقت نفسه يرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي ، فتهتز الأوتار

---

(١) الكتاب ج٤ ص ٤٣٦ .
(٢) التطور النحوى لبراجشتراسر ص ١٧ تحقق الدكتور رمضان عبد التواب مكتبة الخانجى بالقاهرة

الصوتية[1] ومن ثم فالعين صوت مجهور ، متوسط أو احتكاكى ، منفتح، مستفل ، مصمت ، مرقق ، وقد ورد صوت العين فى فاتحة الكتاب فى ستة مواضع " العالمين " و " نعبد " و " نستعين " و " أنعمت " و " وعليهم " مكررة .

السابع عشر : صوت الغين :-

ويتم نطقه حينما يرتفع مؤخر اللسان ، حتى يتصل بالطبق اتصالا يسمح للهواء بالمرور ، فيحتك باللسان والطبق فى نقطة تلاقيهما، وفى الوقت نفسه يرتفع الطبق ، ليسد المجرى الأنفي ، مع حدوث ذبذبات فى الأوتار الصوتية[2] ولم يرد صوت الغين فى فاتحة الكتاب إلا فى موضعين " غير " و " المغضوب " وهو مفخم فى الموضعين ، لأنه مفخم بطبيعته وبحسب مخرجه .

الثامن عشر : صوف الفاء :-

وهوصوت شفوى ، أسنانى ، مهموس ، ينطق حينما تلتقى الشفة السفلى بالأسنان العليا ، بحيث يحدث الهواء المار بينهما احتكاكا مسموعا ، ثم ينطلق الهواء دون اهتزاز الأوتار الصوتية[3] وهو من الأصوات التى لم ترد فى فاتحة الكتاب البتة ، وربما حدث ذلك لأنها فى بعض الأحيان تقترب فى النطق من صوت الثاء ، ولذلك تبدل منها، نحو: جدف ، وجدث ، فاستغنى عن الفاء كما استغنى عن الثاء .

---

(١) ينظر المدخل إلى علم اللغة ص ٥٥ بتصرف .
(٢) المدخل إلى علم اللغة ص ٥٤ "باختصار"
(٣) ينظر : أصوات اللغة العربية دكتور / عبد الرحمن أيوب ص: ٢٠١ بتصرف .

التاسع عشر : صوت القاف:-

تحدث القدماء من النحويين والقراء عن صوت القاف، وقد وصفوه بالجهر[1] يقول بعض المحدثين " يمكن أن نستنتج من وصف القدماء للقاف بالجهر، أنه كان يشبه - إلى حد كبير - القاف المجهورة ، التى نسمعها الآن بين القبائل العربية فى السودان ، وجنوب العراق، فهم ينطقونها نطقا يخالف نطقها فى معظم اللهجات الحديثة، حيث نسمعها بين القبائل العربية فى السودان وجنوب العراق ، نوعا من الغين[2] وهى من الأصوات التى تخرج من اللهاة، وحينما تتطور تتخذ فى ذلك أحد طريقين ، الأول : الرجوع إلى الخلف، فتتعمق فى الحلق فتقلب إلي همزة، وهى كذلك فى اللهجة القاهرية والثانى : حينما تتطور للأمام ،ومن ثم تنقلب إلى مجهور مثلها ، فلا تجد إلا الجيم القاهرية ، وربما لو تطورت القاف فى المستقبل إلى الأمام ، فسيكون حتما نحو الكاف[3] والقاف من الأصوات التى لم ترد فى كلمات فاتحة الكتاب .

العشرون : صوت الكاف :-

ويتم نطقه حينما يرتفع مؤخر اللسان فى اتجاه الطبق ، وإلصاقه به إلصاقا تاما، ليسد المجرى الأنفي ، مع عدم اهتزاز الأوتار الصوتية،

---

(١) ينظر سر صناعة الأعراب ج ١ ص ٢٧٧ باختصار .
(٢) ينظر : الأصوات اللغوية ص ٨٤ بتصرف
(٣) ينظر الأصوات اللغوية ص ٨٦ وبحوث ومقالات فى اللغة ص ١٣ .

ومن ثم فالكاف صوت شديد، مهموس ، مرقق[1]، وقد ورد صوت الكاف في فاتحة الكتاب في ثلاثة مواضع "مالك" و " إياك" مكررة .

الحادي والعشرون : صوت اللام :-

ويتكون صوت اللام ، باعتماد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا، بحيث توجد عقبة في وسط الفم ، تمنع مرور الهواء ، ولكن مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم، أو من أحدهما ، وهذا معنى وصف اللام بالجانبية ، وتتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق باللام[2]، وقد سماه القدماء بالمنحرف[3] وقالوا :" لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت ، وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما ،فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ، ومما فويقهما، وعلى ضوء ذلك ، فاللام صوت أسناني، لثوي ، مجهور، جانبي ، متوسط ، وقد قسم نحاة العربية اللام إلى نوعين رئيسيين: اللام المفخمة ، واللام المرققة، فالمفخمة مثل لام " الله" حينما تسبق بفتحة، والمرققة في مثل "لله " حين تسبق اللام بحرف مكسور، فالكسر ينافي التفخيم، وقد أرجع بعض الباحثين المحدثين ذلك إلى الشكل الذي يتخذه جسم اللسان ، أي الجزء الرئيسي منه في نطق اللام[4] وصوت اللام جاء في موضعين الأول في " بسم الله " وهي لام مشددة ،مرققة ، والثاني في " الحمد لله " وهي

---

(١) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ص ٥٣ بتصرف

(٢) ينظر : علم اللغة العام - الأصوات - ص ١٦٦ ، ١٦٧ بتصرف .

(٣) سر صناعة الأعراب ج ١ ص ٦٣

(٤) ينظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص ١٧٠ بتصرف

مشددة ، مفخمة ، و " الذين " و" عليهم " أيضا مفخمتين ، والتفخيم فى تلك الكلمات ، بسبب تأثر اللام ، بحركة ما قبلها، وهى من أكثر الأصوات ورودا فى فاتحة الكتاب .

الثانى والعشرون : صوت الميم :-

ويتم تكوين صوت الميم عندما تنطبق الشفتان انطباقا تاما، فيحبس الهواء خلفهما ، وينخفض الطبق ، ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف ، مع حدوث ذبذبة فى الأوتار الصوتية ، وبقاء اللسان فى الوضع المحايد[1]، وعلى ضوء ذلك فهو صوت أنفى مجهور، ويعد صوت الميم من الأصوات التى شكلت جزء مهما من أبنية فاتحة الكتاب، ويشاركه فى تلك الخاصية صوتى " اللام " و " الراء " .

الثالث والعشرون : صوت النون:-

يتكون صوت النون حينما يتسرب الهواء من خلال التجويف الأنفي ، مع اهتزاز الأوتار الصوتية حال نطقه، مما يترتب عليه عظيم الأثر فى وضوح صوت النون من الناحية السمعية[2]، ومن ثم فالنون صوت مجهور ، متوسط بين الشدة والرخاوة ، منفتح ذلق أنفى، وصوت النون أيضا من الأصوات التى كثر ورودها فى فاتحة الكتاب ، والأنفية التى وصف بها صوت النون تعنى مشاركة الأنف فى نطق هذا الصوت، ولذا فهو من الأصوات التى تظهر أقل نوع من العيوب الخلقية للأنف .

---

(١) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ص ٤٣ بتصرف.
(٢) معالم الأصوات العربية ص ١٧٥ ، ١٧٦ بتصرف وإيجاز.

الرابع والعشرون : صوت الهاء :-

الهـــاء عـــند القدمـــاء من أقصى الحلق[1] ، وعند المحدثين من الحنجرة[2]

يـــتم نطق الهاء عندما يحتك الهواء الخارج من الرئتين بمنطقة الأوتار الصوتية ، دون إحداث ذبذبة لتلك الأوتار ، ويرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفـــى ، بيـــنما يتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الوضع ــ تقريبا ــ الـــذى يـــتخذه عند النطق بالحركات[3]، ومن المحدثين من ذهب إلى أن الهـــاء صوت مجهور ، يتكون بتضييق الأوتار الصوتية إلى مرحلة فى منتصـــف الطـــريق بين الجهر والهمس[4] كما ارتأى البعض " أن الهاء صـــوت مهموس ، يجهر به فى ظروف خاصة، والرأى الأخير يتفق مع مـــا ذهب إليه القدماء من أسلافنا [5]، وجدير بالذكر أن صوت الهاء قد ورد فـــى خمســـة مواضـــع من بداية البسملة وانتهاء بآمين من فاتحة الكـــتاب ، وعـــندى أن الهـــاء من الأصوات التى تتميز بسمة خاصة ، تجعلهـــا من أجل وأعظم الأصوات ، حيث إنها آخر صوت ينطقه الإنسان حيـــنما يـــتلفظ بلفـــظ الجلالة " الله " ، لذلك يظل الفم مفتوحا ، والهواء مـــندفعا ، وبخاصـــة فـــى حالـــة النداء :"يا الله " أو التعجب ، لذا فإن

---

(١) ينظر : الكتاب ج ٤ ص ٤٣٣ ، سر الصناعة ج١ ص ٤٦
(٢) ينظر : علم اللغة العام ، الأصوات ، ص ١٥٦ بتصرف
(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ص ٥٨ ، ٥٩ بتصرف
(٤) ينظر مناهج البحث فى اللغة ص ١٠٣ بإيجاز
(٥) ينظر : الأصوات اللغوية ص ٨٨ ، ٨٩ بإيجاز

الصـــوفية يكـــتفون بالهـــاء ، حيـــنما يذكرون " الله " ، فيقولون :" ألا هو ، هـــو.

الخامس والعشرون : صوت الواو :-

وقـــد وسمها القدماء بأنها صوت شفوى[١] ، ولعلهم قد لاحظوا اســـتدارة الشفتين حين نطقها بالواو ، أما المحدثون[٢] فيحددون مخرج الـــواو بارتفـــاع مؤخـــر اللسان معها إلى حد يجاز موضعه مع الحركة الثامـــنة ، بحيث يحدث لها صفير ، وتنضم الشفتان ، ولذا كانت خاصية الوضـــوح الســـمعى الـــتى قربتها من الحركات ، والحفيف التى شبهتها بالصوامت .

السادس والعشرون : صوت الياء :-

وتـــتكون الياء عندما تتخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق نوع مـــن الكسرة ، تاركة هذا الوضع لحركة أخرى بسرعة ملحوظة، ويتجه اللســـان نحو وسط الحنك ، وتنفرج الشفتان، ويسد الطريق إلى الأنف ، وتتذبذب الأوتار الصوتية[٣] .

السابع والعشرون : صوت الالف :-

يقـــول الخليل : " وأربعة أحرف جوف وهى الواو والياء والألف والهمـــزة ، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف"[٤] ، ويقول سيبويه :

---

(١) ينظر : الكتاب ج ٤ ص ٤٣٣ ، سر إلصناعة ج١ ص٤٨ .
(٢) معالم الأصوات العربية ص ١٥٩ بتصرف .
(٣) ينظر علم اللغة العام ، الأصوات ، ص ١٧١ بتصرف .
(٤) العين ج١ ص ٥٧

"فأقصاها مخرجا الهمزة والياء والألف "[1] وهذا ما نص عليه ابن جنى أيضا[2] ، ويعلق على هذه الرؤية الصوتية بعض المحدثين حيث يقول :" هناك نقطتان تثيران الانتباه فى وصف القدماء للهمزة هما الأول : وصف الهمزة بالجهر ، والثانى : وضع الألف والهمزة معا ونسبتهما إلى أقصى مخرج فى الجوف ، ويبدو أن هاتين النقطتين لا يقعان موقع الصحيح عند المحدثين ، معللين لذلك بقولهم :" ويبدو أن صعوبة تذوق كلا من الهمزة والألف على طريقة الخليل كانت سببا فى خلط الخليل ومن تابعه بين الصوتين من جهة ، وخلطه فى وصف الهمزة بالجهر من جهة أخرى[3] ، ويتضح من ذلك أن القدماء من اللغويين قد خلطوا بين الهمزة وأحرف العلة فى المخرج والصفة ، يتضح ذلك من قولهم :" الياء والواو والألف والهمزة هوائية فى حيز واحد " والمقصود بالهوائية عندهم هو سعة اتساع مخرج حروف العلة ، وهذا ما أقره علم اللغة الحديث ، أما الهمزة فلا شك أن القدماء قد جانبهم الصواب حينما صنفوها ضمن حروف العلة وهى ضمن الأصوات الصامتة .

(١) الكتاب ج٤ ص ١٣٣ بإيجاز
(٢) سر صناعة الأعراب ج١ ص ٤٦
(٣) دراسة الصوت اللغوى ص ٣٤٤ بتصرف

المطلب الثانى
الأصوات الصائتة وأنصاف الحركات

وقــد يســميها بعــض العلماء بأصوات العلة فيقول :" أما العلة فتتمــيز بنطق مفتوح وغياب أى عائق ، كما أن العلة بطبيعتها مصوتة أو رنانة أكثر من الصوامت[١]، بينما أطلق عليها بعض العلماء :"أصوات الليــن " وعرفها بأنها : الأصوات.التى يندفع الهواء عند النطق بها من الرئتيــن مارا بالحنجرة ، ثم يتخذ مجراه فى الحلق والفم فى ممر ليس فــيه حوائل تعترضه وتضيق مجراه ، كما يحدث مع الأصوات الرخوة ، أو تحــبس النفس كما يحدث مع الأصوات الشديدة[٢] ، ومن ثم نستطيع القــول بــأن الصائت مصطلح صوتى يطلق على الصوت المجهور فى الكــلام ، الأكثر وضوحا فى السمع ، والذى لا بد أن يتوافر فيه أمران : أولهمــا: اهتزاز الوترين الصوتيين ، والثانى : انطلاق الهواء مستطيلا متصــلا دون إعاقة ، ودون تضييق فى مجراه إلى الحد الذى ينتج عنه احتكاك ، مسموع[٣] .

(١) دراسة الصوت اللغوى ص ١٣٥ بتصرف
(٢) ينظر الأصوات اللغوية ص ٣٦ بتصرف
(٣) ينظر معالم الأصوات العربية ص ١٤٠ بتصرف.

أهمية الصوائت

وجديـــر بالذكـــر أن للأصوات الصائتة أهمية كبرى فى كل لغات البشر ، وتبرز أهميتها فيما يلى :

١ــ وضوحها فى السمع إذا قيست بالأصوات الصامتة ، وهذا الوضوح فى السمع يجعل أى انحراف فى نطقها أبين فى السمع، نابيا فى الأذن ، يبعد المتكلم عن النطق الصحيح[١] .

٢ــ نســبة ورودهــا وشــيوعها فــى كل كلام كبيرة جدا ، تبرز الخطأ وتجسمه ، ومن ثم فهى المقياس للأداء السليم للغة[٢] .

٣ــ الأصوات الصائتة أساس لتقسيم الكلام إلى مقاطع ، فإذا ما عرف[٣] بــناء عدد الحركات التى فى الكلمة ، بحيث يشتمل كل مقطع على حركة واحــدة ، إلى غير ذلك من الأمور التى تجعل من الصوائت قيمة صوتية لا يمكــن الاســتغناء عــنها ، ومن المقرر فى الدرسات الحديثة[٤] " إن الصوت كلما اتسع مخرجه وضح سمعه بدرجة أكبر ، وهذه الخاصية لم يهملهــا الأقدمــون ، حيث يشير ابن جنى لذلك بقوله :" والحروف التى اتســعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الواو ثم الياء "[٥] مشيرا إلى التفاوت

---

(١) ينظر الأصوات اللغوية ص ٣٠ ، وعلم الصوتيات ص ١٥٨ بتصرف .
(٢) ينظر الأصوات اللغوية ص ٣٠
(٣) ينظر : علم الصوتيات ص ١٥٩ ، المقطع الصوتى دكتور عبد المنعم عبد محمد ص ١٠٦ بتصرف
(٤) الصائت العربى مكانته وموقعه ص ٦٢٧ .
(٥) ينظر المقطع الصوتى ص ٨٤ ، ٨٥ .

بينها من تلك الجهة ، يتضح ذلك من قوله :" وأوسعها وألينها الألف .."

ومن ثم فإن الأصوات الصائتة تنقسم إلى قسمين رئيسيين .

القسم الأول : الحركات الطويلة " الألف " و " الياء " و" الواو " .

القسم الثانى : الحركات القصيرة : الفتحة والكسرة والضمة ، ويقول المحدثون :" إن الأصوات الواضحة ، هى أصوات المد الثلاثة[1] الألف، ثم الياء ،ثم الواو " والأصوات الخفية ما عداها ، ويعنون بذلك بقية الأصوات الصائتة ، حيث أنها تشتمل على عنصر الوضوح ، لكن بدرجة أقل مما هو عليه فى الأصوات الصائتة ، وعلى ضوء ذلك يمكن ترتيب الأصوات الصامتة والصائتة ، ترتيبا تنازليا بحسب الوضوح وذلك على النحو التالى :-

•• الصوائت الطويلة : " الألف والواو والياء " حروف المد.

•• الصوائت القصيرة : " الفتحة والضمة والكسرة " فكل من هذه الصوائت جزء الصائت الأكبر ، فالفتحة جزء الألف ، والضمة جزء الواو ، والكسرة جزء من الياء ، ومن ثم فهذه الصوائت القصيرة أقل فى نسبة الوضوح السمعى من الصوائت الطويلة

•• أنصاف الحركات : وهما الواو والياء غير المديتين ، حيث إنهما يقومان بدور الصوامت ، ويتبادلان معها الأمكنة ، مثل "يوم" و " عين " فكل من الواو والياء لم تسبق بحركة مجانسة لها ، ولذلك قل وضوحها

---

(٤) ينظر علم التجويد القرآنى فى ضوء الدراسات الصوتية الحديث ٣٠٣ وما بعدها

السمعى، فيمكن إبدالهما بصوت صامت، فنقول:"بوح" و"عيب"، ومما يدل أيضـا على قربهما من الصوائت، انفراج الشفتين مع الياء المدية وغير المديـة، وانضمامهما مع الواو المدية وغير المدية، ومن ثم فقد جمعت الواو والياء غير المديتين بين صفات وخصائص الصوائت والصوامت[1]

الأصوات الأنفية : وهى ((النون والميم))

الأصوات الجانبية : وهى ((اللام))

الأصوات المكررة : وهى ((الراء))

بقية الأصوات الصامتة . ومن ثم ندرك أن" النون والميم واللام والـراء" ، بهـا صـفة الوضـوح السمعى أيضا، ولكن بدرجة أقل من الصـوائت ، وبدرجـة مـتفاوتة بينها ، واليقين أنها متسعة المخرج ، واضـحة فـى السمع إلى حد ما ، ولذلك قال أحد الباحثين :" إن كل من المـيم والـنون واللام والراء أشباه حركات ، وما ذلك إلا لوضوح هذه الأصوات فى السمع بدرجة تقترب من أصوات الحركات[2] .

الأصوات الصائتة الطويلة فى فاتحة الكتاب

إذا أمعـنا النظر فى فاتحة الكتاب من ناحية وجود الصوائت بين حـروفها ، نجـد أنهـا تحظى بقدر كبير من الصوائت الطويلة ، سواء المحـذوف منها أو المذكور فالمعول عليه هنا هو المنطوق ، ومن أمثلة

---

(١) ينظر علم اللغة العام ـ الأصوات ، ص ١٠٧ بتصرف
(٢) ينظر علم اللغة العام ـ الأصوات ص ١٦٩ ، بتصرف

ذلك الألف المحذوفة فى " الله " وألف وياء " العالمين" وألف " الرحمان " وياء "الرحيم " وألف " مالك" وياء "الدين" وألف "اهدنا" وألف "الصراط" وياء "المستقيم" وياء "الذين" وياء "عليهم "مرتين وياء وألف "الضالين" وألف وياء "آمين" ، وعلى ضوء ذلك يتضح أن الألف والياء المديتين كسر ورودهما فى السورة لدرجة أنهما لا يكادان يتركان إلا القليل جدا من الكلمات التى لم يردا بها ، والملاحظ أن المد بهما يطرد وجوده بالألف قبل الياء دائما، مثل "العالمين" و"الرحمن الرحيم " و"صراط المستقيم" و"صراط الذين" و" لا الضالين " و" آمين "، ويبدو أن العلة الصوتية هنا ربما كانت ترتيب مقاطع تلك السورة تبعا لترتيب فواصلها متقاربا ، وربما كان النزول من الفتح إلى الكسر يسهل على اللسان ، بخلاف الصعود من الياء إلى الألف ، الذى فيه من الثقل ما فيه ، ودليل ذلك أن الإمالة تحقق فى الصورة الأولى أكثر من تحققها فى غيرها من الصور ، ولذلك فإن تعريف القدماء للإمالة لا يكاد يخرج عن هذا النطاق، حيث ورد عن القدماء قولهم :" الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، فتميل الألف التى بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت[1] ، والواضح من ذلك ، أن هذه الصورة من صور الإمالة هى المشهورة عند إطلاق الإمالة[2] وهى إمالة الفتحة نحو الكسرة ، والألف

---

(١) ينظر : سر الصناعة ج١ ص ٥٣ ، من أسرار العربية ص :٤٠٦ ، الأصول فى النحو ج٣ ص١٦٠

(٢) اللهجات العربية فى التراث دكتور أحمد علم الدين الجندى ص٢٧٥ بإيجاز .

نحـــو الـــياء، والغرض الأساسي من الإمالة هو تجانس أصوات اللين[1] وذلـــك عند القدماء، أما عند المحدثين فالهدف من الإمالة، هو الانسجام بين أصوات اللين[2] ولا فرق بين التعبيرين، فهما يقصدان التجانس بين الأصـــوات، الذى سيؤدى إلى الانسجام، وعلى ضوء ما سبق يتأكد لدينا أن اطـــراد مجـــيء ألـــف المـــد متلوة بياء المد فى الكلمة أو الكلمتين المتجاورتين، ما هو إلا نوع من الخفة والانسجام، وقد جاء واضحا جليا فـــى ألفـــاظ فاتحة الكتاب ، فقد كثر فيها المد، كما أوضحنا، ولعل كثرة المـــد يرجع إلى المعنى العام للسورة، حيث إنها تحمل معنيين عظيمين جليلين: أولهما: الحمد والثناء من العبد لربه، والثانى: التضرع والدعاء مـــن العـــبد لـــربه ، والحمـــد والدعاء من المعانى التى تستوجب المد والتطويل فى مقاطع اللفظ ، حيث رجاء العبد للإجابة من ربه فى الدعاء وإرادة إظهار العبد رضاءه الشديد، بما من عليه خالقه، فلا بد أن يكون الأداء بصورة ممتدة ، بها شحنة روحية تجاه المولى (ﷻ)، وقد يطرد هذا المد فى الدعاء، فى القرآن وغيره، ففى القرآن مثلا قال تعالى:

{ **ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين** } وفـــى الدعاء المنظوم (اللهم ارحمنا فـــإنك بـــنا راحـــم، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر، والطف بنا فيما جرت به

---

(١) ينظر فى اللهجات العربية ص :٦٨ .
(٢) من أسرار العربية ص : ٤٠٧ ، والأصول فى النحو ج٣ ص ١٦٠

المقادير ، إنك على ما تشاء قدير) وهكذا

هـذا من حيث كثرة ورود أصوات المد الطويلة "الألف" و"الياء" أما الواو المدية فلا وجود لها فى فاتحة الكتاب ، إلا فى بعض القراءات مـثل : قـراءة " عليهمو " وهى نتيجة إشباع ضمة الميم ، أما فى غير ذلـك فـلا وجـود لها ، ويبدو أن مقاطع السورة ونظام الفواصل فيها يتطلب الإكثار من ألف المد ، "وياء" " المد "

الصوائت القصيرة فى فاتحة الكتاب

((الفتحة ، الكسرة ، الضمة))

يـبدو مـن سـياق السورة الكريمة، كثرة تعدد ورود الحركات "الطويلـة، منها والقصيرة " وكثرة الفواصل وانتظامها، ووضوحها فى السـمع ، وسـهولتها فـى الـنطق، فهى السورة المسماة "أم القرآن" و"الكافـية " فهـى التى لا يجوز تمام الصلاة وصحتها بدونها[1] ، فهى هـدف المـتعلم والأمى المثقف والجاهل ، العربى والأعجمى ، وهذا من الأسباب التى تجعل منها ، - كما هو الشأن فى القرآن الكريم كله ــ آية فـى الفصـاحة ، وقمـة فـى الـبلاغة ، ونموذجـا يحتذى فى اليسر والسـهولة[2] ، ولا يتحقق كل ذلك إلا من خلال تعدد الأصوات الصائتة،

---

(١) يقول أبوحنيفة :"....لأن الأمة مجمعة على أن قراءة الفاتحة أولى من قراءة غيرها وسلم أبوحنيفة أن الصلاة بدون قراءة الفاتحة خداج ناقص ، ينظر: تفسير الفخر الرازى المجلد الاول ص:١٩٩ج١

(٢) لأن هذه السورة محفوظة لجميع المكلفين من المسلمين ، فهى ميسرة للكل، ينظر: تفسير الفخر الرازى المجلد الاول ج١ ص١٩٩

طويلهـا وقصـيرها ، فعـن طريق الصوائت القصيرة وتنوعها ، تتنوع المعانى وتتحول تبعا لتنوع تلك الصوائت ، ومن ذلك مثلا قراءة "الحمد" بـرفع الـدال ، وفـتح الدال ، وكسر الدال ، وهذا التنوع يترتب عليه ، التـنوع فـى معانى القراءات ، وهذا هو ملاك الأمر فى القرآن الكريم ، ومـن ذلـك قراءة " مالك" و "ملك " على وزن فعل و" ملك " على وزن سهل و" ملك " بفتح اللام للدلالة على الماضى و" مليك " وهكذا ، فتعدد الصـوائت القصـيرة يـأتى تبعا لتعدد الصوائت الطويلة ، – فى غالب الأحـوال ــ فالفتحة جزء من الألف ، والكسرة جزء من الياء ، والضمة جزء من الواو .

الواو والياء غير المديتين فى فاتحة الكتاب

إذا امعـنا النظر فى أصوات فاتحة الكتاب ، نجد أن الواو والياء غـير المديتيـن، وهما أنصاف الحركات ، كما عبر العلماء ، والمقصود بهما :" الواو والياء " اللتان لا تجانسهما الحركة السابقة عليهما فى مثل " عين " و " صوم " وتسمى كل منهما فى تلك الحالة " غير مدية " لأنها سـاكنة ، ولا تجـانس مـا قبلها ، وهذا مما يجعلها نصف صائت ، من حيـث نسـبة خروج الهواء ، وارتفاع اللسان ، ووضوحها فى السمع ، بدرجـة أقـل مـن وضـوح الصوائت[1] ، وأيضا تعد الواو والياء غير

---

(١) ينظر : علم اللغة العام – الأصوات ص :١٠٦ بتصرف ، المقطع الصوتى فى ضوء تراثنا اللغوى دكتور عبد المنعم عبدالله محمد ص :١٠١ بتصرف .

المديتيـــن نصف صامت ، من حيث قلة الوضوح فى السمع ، ومن حيث انفـــراج الشفتين عند الياء المدية وغير المدية ، وانضمامهما مع الواو المديـــة وغير المدية ، وبذلك فقد جمعت الواو والياء الغير مديتين بين خصائص الأصوات الصائتة ، وخصائص الأصوات الصامتة[1].

ولـــم يرد فى فاتحة الكتاب من "أنصاف الحركات" إلا "الواو غير المدية" فى قوله تعالى "يوم الدين" والياء غير المدية فى "غير" و"عليهم" وهـــذا يؤكـــد أن وجود " واو المد " فى سورة الفاتحة قليل إذا ما قيس بوجـــود " الألف والياء " ، وهذا يطرد أيضا فى الواو غير المدية ، فهى أيضـــا أقل ورودا من الياء غير المدية ولا غرو فى ذلك حيث إن المعنى العـــام للسورة ، الحمد والثناء ، ثم التضرع والدعاء ، وهو ما يستدعى الصعود والهبوط فى النطق ، وبالنظر إلى " الحمد لله رب العالمين " نجد فى العالمين ، الصعود ثم الهبوط ، وكذلك الحال فى "الرحمان الرحيم " و" مـــالك يـــوم الديـــن " و " إياك نستعين " و " الصراط المستقيم " و " صـــراط الذين " و " ولا الضالين " ومن ثم فالسياق العام للسورة يحتاج إلـــى الألف المدية فى الصعود ، حيث الطول فى الدعاء ، وأيضا يحتاج إلى الياء المدية فى الهبوط حيث الطول فى ختم الدعاء.

(٢) ينظر : الأصوات اللغوية ص : ٤٢ بتصرف ، المقطع الصوتى ص: ١٠١

أصوات النون والميم واللام والراء فى فاتحة الكتاب

هـذه الأصوات أنفية ، جانبية ، مكررة ، وقد أطلق عليها بعض المحدثيـن " أشباه الحركات " معللا ذلك بقوله :" لوضوح هذه الأصوات فـى السمع ، لدرجة تقترب من أصوات الحركات"[1] ويبدو أن هذا الكلام مـن جانـب المحدثين يدل على عبقرية صوتية ، والدليل على ذلك ، أن تلـك الأصوات تنطق عندما يتم قفل مجرى الهواء فى نقطة ، وتسريحه من الأنف ، وذلك فى صوتى " الميم والنون " ولذا سميت أنفية ، ومنها مـا يـتم نطقـه عـن طريق قفل المجرى فى نقطة ، والسماح للهواء بالمـرور مـن نقطـة أخـرى جانبية ، وهو صوت " اللام " ولذا سمي بالجانـبى ، أو الاستمراري ، ومنها ما يتم نطقه عن طريق قفل مجرى الهـواء ، مـع فتحه لمرات متتالية وذلك فى صوت " الراء " ولذا سمى تكـراريا ، باعتـبار تكرار طرق طرف اللسان لسقف الحنك عدة طرقات متتالـية ، يحـدث بيـنها تسرب للهواء[2] ، وعلى ضوء ذلك يتضح أن الهـواء مـع تلك الأصوات لا يغلق تماما ولا يفتح تماما ، وهو ما دعا بعـض العلماء أن يطلق عليها " أشباه الحركات " بيد أن ذلك لا يعنى أن نسبة الوضوح السمعى فى تلك الأصوات تتساوى مع وضوح الحركات ، أو أنصـاف الحـركات ، لكنه يأتى بعدها فى الترتيب ، على الرغم من

---

(١) ينظر : علم اللغة العام – الأصوات ص :١٦٩ بإيجاز

(٢) لمزيد من التفضيل حول تلك الأصوات وخصائصها ، ينظر : علم التجويد القرآنى ص : ٣٠٣ وما بعدها .

تصنيف تلك الأصوات ضمن " الصوامت " وذلك لأن نسبة الوضوح فيها لا تقاس بكثرته فى الحركات ، بل تقاس بقلته فى الصوامت.

وإذا أمعنا النظر فى أصوات فاتحة الكتاب، نجد أنها لأكثر ورودا، فلا يخلو لفظ من ألفاظ فاتحة الكتاب من صوت من تلك الأصوات أو أكثر.

صوتا " الميم والنون " فى فاتحة الكتاب

تحدثت فيما سبق عن " الميم والنون واللام والراء " باعتبار أنهم يمثلون منظومة صوتية ، يجمع بينهم قفل الهواء فى نقطة ، وتسريحه من نقطة أخرى ، وأيضا وضوح تلك الأصوات فى السمع ، وكثرة ورودها فى ألفاظ سورة الفاتحة ، حتى لا يخلو لفظ من احتوائه على صوت أو صوتين من تلك الأصوات ، فما العلة الصوتية فى ذلك ؟ الجواب أن فاتحة الكتاب من السور التى تقرأ كثيرا ، وعلى كل الألسنة، ولذا كثرت فيها الحركات الطويلة ، والحركات القصيرة ، وأنصاف الحركات ، وبطبيعة الحال لا بد أن تكثر فيها " أشباه الحركات " كما سماها البعض ، ويبدو من ذلك أن السورة فى مجملها قد اكتسبت صفة الوضوح السمعى ، والخفة فى النطق ، حيث إن مفرداتها تتكون من صوامت تتسم بالوضوح السمعى أيضا ، ثم إن الحركات بجميع أنواعها تنتشر فى أبنية السورة ، مما يجعل منها منظومة ذات مقاطع متوازية ، ولكن للميم والنون خاصية صوتية هامة .

وتلك الخاصية الصوتية التى تتميز بها النون والميم ليست كثرة ورودهما فى ألفاظ السورة فقط ، وإنما تكمن فى أنهما يمثلان نهاية الفواصل بين الآيات ، فتارة تكون الفاصلة نونا ، وتارة تكون ميما ، تأمل " العالمين " ، " الرحمن الرحيم " " مالك يوم الدين " نعبد ونستعين" " المستقيم ، الذين ، عليهم ، الضالين ، آمين ، فهل يعد ذلك من قبيل السجع ؟ وإذا كان كذلك فلم اختلف فيه الحرف الأخير ؟ وهنا يثور تساؤل مهم ، هو: هل يقع السجع فى القرآن الكريم ؟؟

السجع والفواصل فى القرآن الكريم

السجع هو : موالاة الكلام على وزن واحد دون مراعاة للمعنى[1] ، فالمعنى فيه يأتى وفقا للألفاظ ، وقد أثبته بعض العلماء وقال بوقوعه فى ألفاظ القرآن الكريم ، واستدل هؤلاء بقولهم :" إن موسى أفضل من هارون ، ولما كان السجع بالألف اللينة قيل فى موضع {**قالوا آمنا برب موسى وهارون**}[2] ولما كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون ، جاء فى موضع قوله تعالى {**رب موسى وهارون**}[3] وقد رد على ذلك أبو بكر الباقلانى قائلا :" إن اللفظ فى القرآن يقع تابعا للمعنى، ومادامت المعانى هى المقصودة والألفاظ تابعة لها دون تكلف ، فهذا

---

(١) ينظر : مباحث فى علوم القرآن لمناع القطاع ص : ١٤٦ بتصرف ط ١٩٩٧م
(٢) سورة طه آية :٧٠ .
(٣) سورة الشعراء آية : ٤٨

ضـــرب من ضروب البلاغة ، قد يأتى فى القرآن وغيره ، ولكن تسميته فـــى القـــرآن بالفواصـــل فهو لتلافى إطلاق السجع على القرآن الكريم بالمعـــنى الأول[1]، ومـــن ثم يمكن القول بأن الذى وقع فى فاتحة الكتاب مـــن الاتفاق فى الوزن تبعا للمعنى دون تكلف ، إنما هو من قبيل وقوع الفواصـــل فى القرآن الكريم ، وهى أنواع ، فمنها : الفواصل المتماثلة ، وهـــى مـــا كانـــت الحروف فيها متماثلة، قال تعالى {**والطور، وكتاب مسطور ، فى رق منشور** }[2] والنوع الثانى: الفواصل المتقاربة، وهى ما كانـــت الحروف فيها متقاربة، والتقارب فى الأصوات يعنى كونها متحدة المخـــرج، أو قريبة فى بعض الصفات، ومن ذلك قوله تعالى{**الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين** }[3] ومن ثم يبدو لنا بوضـــوح مدى الدور الذى قام به صوتا الميم والنون ، فى فاتحة الكتاب ، حيث اعتماد فواصل السورة على هذين الصوتين ، ولا ريب أن قربهما الصوتى هو الذى سوغ مجيء فواصل تلك السورة على هذا النحو، ولا يخفـــى ما للفواصل هنا من قيمة صوتية تتمثل فى وضوحهما فى السمع بدرجـــة تكـــاد تقـــترب من وضوح الحركات ، وقد ساعد على ذلك مجئ هذيـــن الحرفيـــن (الميم والنون) إثر فواصل الآيات ، ناهيك عن الدور

---

(١) ينظر البرهان فى علوم القرآن للزركش ج١ ص:٥٨ ، بتصرف .
(٢) سورة الطور آية من ١ الى ٣ .
(٣) ينظر لمزيد من التفضيل حول أنواع الفواصل فى القرآن الكريم : مباحث فى علوم القرآن ص : ١٤٦، ١٤٧ .

التبادلى بينهما فى هذه الفواصل ، وهكذا يتضح بجلاء أن الأصوات فى فاتحة الكتاب تعتمد على الحركات كقيمة صوتية عليا ، لإظهار ما فيها من تضرع ودعاء، بيد أنها لم تخل من الاعتماد على الأصوات الصامتة، فاختارت من بينها الأصوات ذات الشبه بالحركات، وبذلك تكتمل تلك المنظومة المعجزة، فقد اشتملت على مقاطع داخلية ومقاطع خارجية، وكلاهما مطعم بالحركات، والصوامت الشبيهة بها، أما المقاطع الداخلية فهى بنية الكلمة وما فيها من حروف وحركات وسكنات، أما الخارجية فتتمثل فى الفواصل التى امتلأت بها فاتحة الكتاب على النحو المعروف، وعلى ضوء ذلك نستطيع القول: بأن فاتحة الكتاب لها سجية خاصة، تتمثل فى تشكيل بنائها، حيث أعتمد على الحروف الصوائت والصوامت القريبة منها، وتلك السجية من أجل أن السورة لها خاصية شرعية، إذ هى عند جمهرة العلماء الأساس فى صحة الصلاة، والصلاة فرض على كل مسلم، فتكون قراءة فاتحة الكتاب وحفظها من الواجبات، والمسلمون ليسو فى القراءة والحفظ سواء، فمنهم الأمى وضعيف الحفظ، والأعجمى الذى هو حديث عهد بالإسلام، فكانت الفاتحة على هذا النحو ، طلبا للخفة فى النطق، والسهولة فى الحفظ، ولذلك فسر العلماء قول الرسول صلى الله عليه وسلم { إن هذا القرآن أنزل عى سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه } بأن المقصود بهذا الحديث التيسير فى القراءة ، والتسهيل فى الحفظ لفاتحة الكتاب فلو أن فريقا من هؤلاء الناطقين باللهجات

المختلفة أمر أن يزول عن لهجته ، وما جرى عليه اعتياده ، طفلا وناشئا وكهلا ، لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة [1].

(١) ينظر : اللهجات العربية والقراءات القرآنية ص٦٩ بتصرف .

المبحث الثاني

من الظواهر الصوتية في فاتحة الكتاب

تمهيد:

الدراسة الصوتية نوعان : الأول : دراسة الأصوات مفردة ، لبيان مخارجها ، وصفاتها ، والثاني : يعنى بدراسة الصوت في سياقه ، فيحدد وظيفته ، ومدى تلائمه مع غيره في بنية الكلمة[1] وفي ضوء ذلك سأتناول الظواهر الصوتية في فاتحة الكتاب من خلال سياقاتها، مع بيان وظائفها ، و مدى تلائم الصوت مع غيره ويشتمل ذلك ...

المبحث على مطلبين :

المطلب الأول : الإبدال ، وهو نوعان :

الأول : الإبدال بين الصوامت

الثاني : الإبدال بين الصوائت

المطلب الثاني : ويشتمل على النقاط التاليـــــــة :

أولا : الإدغـــــــــــام .

ثانيا: الإمـــــــالـــــــة .

ثالثا: القلـــــــب المكانـــــي.

رابعا: الهمـــــــز و التسهـــــيل .

---

(١) ينظر : الأصوات اللغوية في لسان العرب ص : ١٥ من المقدمة .

المطلب الأول ((الإبـــــــدال))

اولا : الابدال بين الصوامت .

جاءت مادة (ب، د ، ل) فى المعاجم العربية بمعنى :" جعل شئ مكـــان شئ آخر"[1] ومنه البدل " الخلف والعوض " ... وبذلك يكون بدل الشئ : بمعنى غير صورته ، يقال :

بدل الكلام بمعنى: حرفه، وبدل الثوب القديم الثوب الجديد[2].

المعنى الاصطلاحي للإبدال

والإبـــدال فـــى اصـــطلاح اللغويين هو : جعل حرف مكان حرف آخـــر، مـــع بقـــاء الكلمة على حالها ، وزاد اللغويون :" أو وضع حركة مكان أخرى ، وهو نوعان[3].

قياسى : وهو ما شاع ، وكان ضروريا فى التصريف .

ســـماعى: وهو ما اطرد وكثر فى لغة بعض القبائل دون بعضها الآخر، وعلـــى ضـــوء ذلك يقول ابن فارس:"ومن سنن العرب إبدال الحروف، وإقامـــة بعضـــها مقام بعض، فيقال: مدحه ومدهه، وفرس رفل ورفن، وهـــو كثـــير مشـــهور قد ألف فيه العلماء[4]، وينقل السيوطى قول أبى الطيـــب: "ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف،

---

(١) المصباح المنير ص: ١٥ ، مكتبة لبنان ، بدون تاريخ .
(٢) المعجم الوسيط ج١ ص٤٥ ، مجمع اللغة العربية ، ط الثالثة .
(٣) ينظر: لهجات العرب دراسة تحليلية ص : ٢٢٦ دكتور محمد العريان ط ١٩٩١م .
(٤) ينظر : اللهجات العربية فى التراث دكتور أحمد علم الدين الجندى ص : ٣٤٧ .

وإنمـــا هـــى لغات مختلفة لمعان متفقة[1] ، ويتضح من ذلك أن العلماء يردون معظم صور الإبدال إلى اختلاف اللهجات[2].

وللإبدال عند المحدثين أسباب، منها:

أولا: أن صـــور الإبـــدال يرجع أكثرها إلى ضرب من التطور الصوتى الذى يدخل أحيانا فى اختلاف اللهجات[3].

ثانيا: لا بد من وجود علاقة صوتية بين الحرفين ، البدل والمبدل منه، أى أن القـــرب فـــى المخـــرج أو الصـــفة شـــرط أساسى فى كل تطور صـــوتى[4]، وقـــد أطلـــق بعضـــهم على ظاهرة الإبدال مسمى آخر وهو "التشـــابه" والغرض من الإبدال الذى ينتج عن هذا التشابه، هو التقريب بيـــن الصوتين المتجاورين... ولا شك أن هذا التشابه، يحدث مع توالى الزمـــن، وعـــبر الـــتاريخ اللغوى ، ويرجع إلى قيود ذاتية فى الصوت نفســـه، تجعلـــه يحول مجاوره إلى مثله ، لأن للحرف القوى تأثيرا على الحرف الضعيف .

الإبدال بين الصوامت فى فاتحة الكتاب:

الإبدال بين الهمزة و الهاء :

ويـــبدو أن العـــرب عاقـــبوا بين صوتى الهمزة والهاء فى قوله

---

(١) المذهر فى علوم اللغة ج١ ص: ٤٦٠ .
(٢) ينظر : دراسات فى فقه اللغة ، دكتور صبحى الصالح ص :٣١٣ ، دار العلم للملايين .
(٣) ينظر : دراسات فى فقه اللغة ص: ٣١٣ بتصرف .
(٤) ينظر : من أسرار اللغة دكتور إبراهيم أنيس ص: ٧٥ بتصرف ، مكتبة الأنجلو .

تعـالى { إياك نعبد وإياك نستعين } يقول الشوكانى :" قرأ سوار الغنوى "هـياك" فى الموضعين، وهى لغة مشهورة[1]، ولم تقتصر هذه المعاقبة على همزة إياك، بل إنها تتعدى ذلك، حيث إن همزة (إن الشرطية) تبدل هـاء، فـتقول: هن فعلت، تريد، إن فعلت، وعن اللحيانى أنهم يقولون: "هـراق لغـة فـى أراق، وهى لغة يمانية[2]، كذلك ورد عن ابن يعيش قولـه:"هرحـت الدابـة، أى أرحتها، وهنرت الثوب أى أنرته، وهردت الشـئ، أى أردتـه ... وقالوا: هما والله لقد كان كذا، يريدون أما والله، وهن فعلت يريدون إن فعلت، وهى لغة طائية[3]، والبعض يوسع الدائرة فينسـبها لطئ، واليمن ومصر[4]، وبعد أن ثبت لنا أن إبدال الهمزة هاء لهجـة طائية ، نأتى إلى المناسبة الصوتية بين الهمزة والهاء ، والتى مـن أجلهـا صـح إبدالها من الهمزة، وجدير بالذكر أن المناسبة بين الأصوات بصفة عامة، تأتى من الاتحاد فى المخرج، أوالاتحاد فى بعض الصفات، وإذا نظرنا إلى ظاهرة إبدال الهمزة هاء عند الطائيين، نجد أن المناسـبة بيـن الهمزة والهاء تتجلى فى كونهما متحدين فى المخرج، حيـث يخـرجان من أقصى الحلق، كما ذكر الأقدمون[5] أو الحنجرة كما

---

(١) فتح القدير للشوكانى ج١ ص :٢٢ ، البحر المحيط ج١ ص ٢٣ .
(٢) ينظر : تاج العروس للزبيدى ج٦ ص ٣٦٦، بتصرف ط الاولى القاهرة ١٣٠٦هـ
(٣) ينظر : شرح المفضل لأبن يعيش ج ١٠ ص٤٢ ، ٤٣ ، بتصرف .
(٤) الأصوات واللهجات فى فتح القدير للشوكانى ص :١٠٦ بتصرف .
(٥) الكتاب ج ٤ ص ١٣٣ ، سر صناعة الأعراب ج١ ص: ٤٦ .

قرر المحدثون[1]، وإلى جانب اتحادهما فى المخرج ، فإنهما يتفقان فى بعض الصفات ، كالانفتاح ، والاستفال ، والإصمات ، ويفترقان فى كون الهمزة صوت شديد، والهاء صوت رخو[2]، وإن كانت الهاء محل اتفاق بين القدماء والمحدثين فى وصفها بالهمس ، فإن الهمزة كانت مثار خلاف بين القدماء والمحدثين من جهة ، وبين المحدثين أنفسهم من جهة أخرى ، فهى عند القدماء مجهورة[3] بينما ارتأى المحدثون: أنها صوت لا هو مجهور ولا هو مهموس[4] .

الإبدال بين الصاد والسين والزاى

وقد وقع الإبدال بين هذين الصوتين فى قوله تعالى {صراط} فقد اختلفوا فى قوله تعالى {الصراط المستقيم} فالأصل فيها {السراط} ، ثم تقرأ بالصاد {الصراط} وذلك لتوائم الطاء فى الإطباق، ثم تقرأ بالزاى {زراط} لتوائم الراء فى الجهر ، فقد روى عن ابن كثير السين والصاد، وروى عن أبى عمرو السين والصاد، والمضارعة بين الزاى والصاد، وروى الأصمعي "الزراط" بالزاى، والباقون بالصاد، غير أن حمزة يلفظ بها بين الصاد والزاى[5]، وقال السمين الحلبى: "الصراط" مشتق من السرط بالسين، وهو الابتلاع ....وأصله أى "الصراط" بالسين وقد قرأ

---

(١) ينظر : الأصوات اللغوية ص : ٩٠ ، علم اللغة العام – الأصوات ص :١٤٣، علم اللغة – مقدمة للقارئ العربى ص : ١٥٧ .
(٢) الكتاب ج٤ ص ٤٣٣ ، سر صناعة الأعراب ج١ ص: ٤٦ .
(٣) الكتاب ج٤ ص ٤٣٣ ، سر الصناعة ج١ ص: ٤٦ .
(٤) ينظر : الأصوات اللغوية ص : ٩٠ ، وعلم اللغة العام – الأصوات ص : ١٤٣ .
(٥) الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الفارسى ج١ ص: ٣٦ .

بـــه قنـــبر ، حيـــث ورد : إنهـــا أبدلت صادا ، لأجل حرف الاستعلاء ، وإبدالهـــا صـــاد مطـــرد عنده نحو : صقر فى سقر ، وصلح فى سلح، وأصبع فى أسبع ، ومصيطر فى مسيطر ، لما بينهما من التقارب ، وقد تشـــم الصاد فى "الصراط" ونحوه زايا، وقرأ به خلف حيث ورد، وخلاد الأول فقـــط ــ يعـــنى فى الصراط ــ وقد تقرأ زايا مفخمة ولم ترسم فى المصحف إلا بالصاد، مع اختلاف قراءاتهم فيها[1] ، ويقول أبو حيان[2]: "قـــال أبو جعفر الطوسى فى تفسيره: الصراط بالصاد لغة قريش ، وهى اللغـــة الجـــيدة وعامة العرب يجعلونها سينا ، والزاى لغة لعذرة وكعب وبـــنى القين و قرأ بين الزاى والصاد وهى من قبيل الإشمام ، الذى هو صـــبغ الصوت اللغوى بمسحة من صوت آخر ، مثل نطق كثير من قيس وبنى أسد (قيل ، وبيع ، بإمالة نحو واو المد ، ومن قبيل الإشمام قراءة كـــل مـــن حمزة والكسائى وخلف ورويس {حتى يصدر الرعاء} بإشمام الصـــاد زايـــا .... وهـــو ما سماه ابن سينا "الزاى الطائية[3] وقال ابن مجاهد: أن من قرأ بين الزاى والصاد تكلف حرفين ، وذلك أصعب على اللســـان، ولست أقطع أنه من كلام فصحاء العرب، إلا أن الصاد أفصح، وقـــد أخرج الحاكم وتعقبه الذهبى ، عن أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ)

---

(١) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبى ج١ ص: ٧٨ ،٧٩ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ، لبنان ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م

(٢) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ج١ ص ٢٥ .

(٣) ينظر : بحوث ومقالات فى اللغة ص: ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

قرأ { إهدنا الصراط } بالصاد ، وأخرج البخارى ، عن ابن عباس ، أنه قـرأ : الصراط بالسين ، وأخرج ابن الأنبارى ، عن ابن كثير ، أنه كان يقـرأ " السـراط " بالسـين ، وأخرج أيضا عن حمزة ، أنه كان يقرأ " الزراط " بالزاى ، قال الفراء : وهى لغة لعذرة ، وكلب وبنى القين[1].

وبعـد أن استعرضـنا القراءات التى وردت فى الصراط ، والتى تـبادت فيها الصاد والسين ، والزاى على قلة ، نحاول إماطة اللثام عن العلاقة الصوتية التى سوغت التبادل بين تلك الأصوات، فأما بين الصاد والسـين، فـلا غـرابة فيه، حيث إنهما يتحدان فى المخرج وهو طرف اللسـان، ويتفقان فى صفتى الهمس، والرخاوة، ويفترقان فى أن الصاد مطـبقة مسـتعلية ، بخلاف السين فهى منفتحة مستفلة ، ولولا الإطباق لصـارت الصاد سينا[2] ، ويذكر أحد الباحثين المحدثين: أن اتحادهما فى المخرج ، واشتراكهما فى الهمس والرخاوة ، هو ما سوغ إبدال أحدهما مـن الآخر ، فيقال :باسقات وباصقات[3] والذى حدث فى " الصراط " هو تأثير رجعى ، تأثر فيه الصوت الأول (السين) بالثانى (الراء) ولكن كيف أثـرت الراء المجهورة فى السين المهموسة فقلبتها صوتا مطبقا[4]؟ إذا رجعـنا إلـى كتب القراءات أعانتنا على فهم هذه الظاهرة ، إذ تذكر أن

---

(١) فتح القدير للشوكانى ج١ ص: ٢٣ .
(٢) الكتاب ج٤ ص: ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
(٣) ينظر : لغة هذيل ص :١١٦ بتصرف.
(٤) ينظر : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص: ١٤٩ بتصرف .

القــراء قــد أتفقوا على قراءة " الصراط " بتفخيم الراء ، فإذا علمنا أن الــراء المفخمة تعد من الناحية الصوتية ، أحد حروف الإطباق [١] فهمنا تأثــيرها فــى (الســين) بأنهــا قــد حولــتها صــوتا مطبقا [٢] يقول ســيبويه[٣]:هذا ما تقلب فيه السين صادا فى بعض اللغات ، ويشير إلى أن ذلــك مشــروط بأن تليها القاف فى كلمة واحدة ، وذلك نحو : صقت وصــبقت ، بــيد أنه لم يعز هذا الإبدال إلى لهجة معينة ، وقد تابعه فى ذلك ابن السراج النحوى ، لكنه نسب الإبدال بين السين والصاد إلى بنى العنبر[٤] .

الإبدال بين السين و الزاي:

لعــل التفســير الصوتى الذى يسوغ ذلك هو : أن الصوتين يخرجان مــن مخــرج واحــد ، وهو الأسنانى اللثوى ، وأيضا يتفقان فى بعض الصفات الصوتية ، منها الاحتكاك ، والترقيق ، ناهيك عن أن الزاى هو النظــير المجهور للسين ، وظاهرة الإبدال بين السين والزاى رويت عن بعــض العــرب ، العصد والعسد ، والعزد يعنى النكاح[٥]، وقد سبق أن ذكــرنا الألفــاظ الــتى ورد مــنها الإبدال بين السين والزاى ، فقد ذكر الشــوكانى أن السين فى (السراط) هى الأصل ، وأن حمزة قرأ "الزراط "

---

(١) ينظر : الأصوات اللغوية ص: ٦٢ بتصرف .
(٢) ينظر : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص: ١٤٩ بتصرف
(٣) الكتاب ج٤ ص : ٤٧٩ .
(٤) الأصول فى النحو لإبى بكر بن السراج النحوى ج٣ ص ٤٣١ .
(٥) ينظر : لهجة برديس المعاصره ص : ٣٢ ، بتصرف .

بالزاى وهى لغة لعذرة وكلب وبنى القين[1].

الإبدال بين الصاد والزاى:

من الأصوات التى جاء التبادل بينها صوتا (الصاد والزاى) ، والعلة الصوتية فى تبادلهما ، اشتراكهما فى المخرج ، وأيضا فى بعض الصفات ، يقول الشوكانى مشيرا لهذه الظاهرة عند تفسيره لقوله تعالى { ومن أصدق من الله حديثا }: قرأ حمزة والكسائى :" ومن أزدق " بالزاى ، وقرأ الباقون :" أصدق بالصاد" ، والصاد الأصل ، وقد تبدل زايا لقرب مخرجها منها[2].

الإبدال بين الهمزة والواو:

ومن أمثلة هذا النوع فى فاتحة الكتاب، ما أورده أبوحيان قال[3]:" قال صاحب اللوامح " وقد جافيه – يقصد " إياك "–" وياك " – بإبدال الهمزة واوا ، فلا أدرى، أذاك عن الفراء أم عند العرب ، وهذا على عكس مما فروا اليه فى نحو: إشاح ، فيمن همز ، لأنهم فروا من الواو المكسورة إلى الهمزة ، واستثقالا للكسرة على الواو فى "وياك " فروا من الواو إلى الهمزة[4].

ويبدو أن تلك الحالة من الإبدال ليست من باب الإبدال ، بالمعنى المشهور المطرد ، وإنما هى من باب تسهيل الهمزة بالقلب إلى حرف

---

(١) ينظر : فتح القدير ج١ ص :٢٣ ، بتصرف .
(٢) السابق : ج١ ص:٤٩٣ ، بتصرف وإيجاز .
(٣) ينظر البحر المحيط : ج١ ص:٢٣ ، بتصرف .
(٤) ينظر : فى اللهجات العربية ص: ٧٦ .

علة مجانس لحركتها، أو حركة ما قبلها، إن كانت فى وسط الكلمة نحو "راس" فـــى "رأس" و"بير" فى "بئر" و"شوم" فى "شؤم" والذى يفعل ذلك، إنمـــا يهدف إلى التسير فى النطق، حيث إن الهمزة المحققة، من أصعب الأصـــوات ، والـــنطق بهـــا فـــيه كلفـــة، جعلت العرب يتصرفون فيها، ويســـلكون مســـالك متعددة، فتارة يحذفونها، وتارة أخرى يقلبونها إلى حـــرف من حروف العله، القريبه من نوع حركتها، أو حركة ما قبلها[1]، وقـــد اشـــتهر تســـهيل الهمزة عند العرب القدماء[2]، بيد أنه نسب إلى الحجازييـــن فـــى معظـــم الأحوال[3]، وهذا النطق " وياك " بإبدال الهمزة واوا، لـــه نظيره فى اللهجات الحديثة ، وبخاصة فى صعيد مصر ، حيث يقولـــون :" أروح ويـــاك" بمعـــنى أذهب وإياك بكسر الواو المبدلة من الهمـــزة على خلاف ما يقوله أهل القاهرة : " وياك ، بفتح الواو المبدلة من الهمزة مع التشديد ، منها.

الإبدال بين الصوائت فى فاتحة الكتاب

كمـــا يقع الإبدال بين الحروف طلبا للخفة ، فى النطق فكذلك يقع الإبـــدال بيـــن الحركات ، أو الصوائت ، وإبدالها يهدف إلى الانسجام ، للوصـــول إلى الطريقة المثلى ، التى تناسب بيئة وطبيعة المتكلم ، ومن المقـــرر أن كل صوت صائت عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت آخر،

---

(١) ينظر لغة هذيل ص : ٨٣ ، بتصرف .
(٢) ينظر : بحوث ومقالات فى اللغة ص : ٨٣ ، بتصرف .
(٣) ينظر : فى اللهجات العربية ص : ٧٦ بتصرف .

ولقد كان لهذا القانون آثار ذات بال فى انشعاب اللهجات العامية عن العربية ، وفى تطورها من ناحية الأصوات ، وقواعد الصرف ، ووزن الكلمات [1] .وإلى مثل هذا أشار الشوكانى عند تفسيره لقوله تعالى {فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم}[2] قال : قرئ بضم الكاف وكسرها ، وهما لغتان : أسوة وإسوة[3] وقد اشتهرت بذلك تميم ، ونسب إليها ، فقيل :"تفريعات تميم" حيث إنهم يلمحون نوعا من الثقل ، فيحاولون إيراد اللفظ على وجه خفيف، ومن أمثلة ذلك " فعل " بفتح الأول وكسر الثانى ، إذا كان حلقى العين ، فإن التميميين يستثقلونه، لأن عينه حرف حلق ، ومحرك بحركة ثقيلة ، ولهذا اشتهر عنهم تخفيفه وتفريعه إلى ضوابط أخرى ، أخف على النطق ، وأشمل فى التذوق ، وهى التفريعات ، ومن أمثلة هذا النوع " فخذ ، ومحك " بفتح الأول وكسر الثانى ، على الأصل ، وإن شئت أسكنت الثانى ونقلت كسرته إلى الأول ، وأن شئت أتبعت الكسر بالكسر[4] ومما يؤكد أن الإبدال بين الحركات يكاد يكون معظمه للهجات متعددة ، ما أكده بعض الباحثين بقوله :" مالت اللهجة التميمية ، والبيئات البدوية الأخرى ، كأسد ، وبكربن وائل ، وقيس عيلان ، إلى

---

(١) ينظر : فقه اللغة د/ على عبد الواحد وافى ص : ١٤١ بإيجاز .
(٢) سورة المائدة ، الآية :٨٩ .
(٣) ينظر : تفسير فتح القدير ج٢ ص:٧٢ .
(٤) ينظر : لهجات العرب دراسة تحليلية ص : ٢٥٩ ، ٢٦٠ بتصرف .

إيـثار الضـم ، بيـنما آثـرت البيئات الحجازية وغيرها من الحضر ، كقـريش، الميل إلى الكسر[1] ويبدو أن هناك من يرى أن تبادل الحركات فـي بنـية الكلمة ليس من قبيل الفصحى ، حيث يقول :" ومما يمكن أن يعـزى إلـى القـياس الخاطئ ، اختلاف الحركات فى بنية الكلمة ، بين لهجة الكلام واللغة الفصحى[2] بيد أننا لا نسلم بهذا القول ، فالتبادل بين الحـركات أمر واقع فى اللغة ، ولا يعد قياسا خاطئا ، غاية ما هنالك أننا لا نقـول بـأن ذلك مقصورا على بنى تميم ، وإنما هو من قبيل اختلاف اللهجـات ، والدلـيل علـى ذلـك تلك القراءات القرآنية التى تمثل هذه الظاهـرة أحسن تمثيل ، فكل لهجة تميل إلى حركة معينه ، أو تميل إلى تجانس بين حركتين ، بينما تميل بعض اللهجات إلى عكس ذلك ، هذا ما يفهم من القراءات التى تمثل تبادل الحركات، وعلى ضوء ذلك، فإليك ما وقع من تبادل بين الحركات فى سورة الفاتحة، وذلك على النحو التالى:

ففـى قوله تعالى { الحمد لله } قرأ الجمهور "الحمدُ" برفع الدال وكسر لام الجر ،.. وقرئ شاذا بنصب الدال من الحمدَ ،... وقرئ أيضا: بكسـر الدال "الحمدِ لله " ووجهه أنها حركة إتباع لكسرة لام الجر بعدها، وهـى لغة تميم وبعض غطفان ، يتبعون الأول للثانى " يقولون : اضرب السـاقينُ أمـك هـابل " بضم نون التثنية ، لأجل ضم الهمزة بعدها ...

---

(١) ينظر : اللهجات العربية فى التراث ص : ٢٥٢ بتصرف .
(٢) ينظر : اللهجات العربية ص : ٢٣٣ بتصرف .

وقــرئ أيضــا " الحمــدُ لُله " بضم لام الجر ، قالوا : وهى اتباع لحركة الــدال ، وفضــلها الزمخشرى على قراءة كسر الدال ، معللا لذلك : بان إتــباع حركة البناء لحركة الإعراب أحسن من العكس ، وهى لغة بعض قــيس ، يتــبعون الــثانى للأول .... وعليه قرئ " مردفين " بضم الراء إتــباعا للمــيم ، فهــذه أربع قراءات فى " الحمد لله "[1] وقال أبوحيان: "والجمهــور قرؤا بضم دال الحمد ، وأتبع إبراهيم ابن أبى عبلة ، ميمه لــلام الجر لضمة الدال ، كما أتبع الحسن وقتادة وزيد بن على ، كسرة الدال لكسرة اللام ، وهى أغرب، لأن فيه اتباع لحركة معرب حركة غير إعــراب ، والأول بالعكس ، وفى قراءة الحسن احتمال أن يكون الإتباع فى مرفوع أو منصوب ، ويكون الإعراب إذ ذاك على التقديرين مقدرا ، منع من ظهوره ، شغل الكلمة بحركة الإتباع كما فى المحكى والمدغم[2].

اللفظ الثانى موضع تتابع الحركات فى فاتحة الكتاب " مَالك " قال أبو حيان " قرأ مَالِك على وزن فاعل بالخفض ، عاصم والكسائى وخلف فــى اختياره ، ويعقوب ، وهى قراءة العشرة إلا طلحة والزبير ، وقراءة كثــير مــن الصحابة ... " وقرأ "مَلِك" على وزن فعل " بالخفض ، باقى الســبعة وزيــد ، وأبــو الدرداء ، وابن عمر ، و المسور ، وكثير من الصــحابة والتابعيــن ، وقــرأ " مَلْك" ، على وزن سهل " أبو هريرة ،

---

(١) الدر المصون ج١ ص : ٦٤ ، ٦٥ ،٦٦. بإيجاز .
(٢) البحر المحيط ج١ ص١٨ .

وعاصـم .... وهـى لغـة بكر ابن وائل ، وقرأ " ملكى " بإشباع كسرة الكاف ، أحمد بن صالح ، عن ورش عن نافع ، وقرأ " مِلْك " على وزن عجـل " أبو عثمان المهدى ، و الشعبى ، ... وقرأ أنس بن مالك ، وأبو نوفـل عمر بن مسلم بن أبى عدى :" ملك يوم الدين " بنصب الكاف من غير ألف ، وقرأ كذلك إلا أنه رفع الكاف سعد بن أبى وقاص ... وقرأ " مَلَـكَ " فعـلا ماضـيا ، أبو حياة ، وأبو حنيفة ... وقرأ "مالكَ " بنصب الكـاف ، الاعمـش ، وابـن السميقع ... وروى أبن أبى عاصم ، عن اليمان " ملكًا " بالنصب والتنوين ، وقرأ "مالكُ " برفع الكاف والتنوين ، وبالرفع للكاف ونصب يوم ، على الإضافة ، عن أبى هريرة ، وأبوحياة، وعمـر بـن عبد العزيز ... وقرأ " مليك " على وزن فعيل ، أبو هريرة وأبـو رجـاء العطاردى ، وقرأ مالك " بالإمالة البليغة ، يحيى بن يعمر، وأيـوب .... وقـرئ فى الشاذ " مَلاك " بالألف ، والتشديد للام ، وكسر الكـاف ، فهذه ثلاث عشرة قراءة ، بعضها راجع إلى المِلك بكسر الميم، وبعضها إلى المُلك ، بضم الميم[1].

قـال أبو حيان :" ومن ملح هذه المادة ، أن جميع تقاليبها الستة مستعملة فى اللسان ، وكلها راجع إلى معنى القوة والشدة ، فبينها كلها قـدر مشـترك ، وهذا يسمى بالاشتقاق الأكبر ، ولم يذهب إليه غير أبى

---

(١) البحر المحيط ج١ ص :٢٠ ، والدر المصون ج١ ص: ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ .

الفتح ، وكان أبو على الفارسى يأنس به فى بعض المواضع[1].

قال الأخفش :" ملك بين الملك ، بضم الميم ، ومالك بين الملك ، بفتح الميم وكسرها ، وروى ضمهما أيضا بهذا المعنى ، وروى عن العرب :" لى فى هذا الوادى ملك ، وملك ، وملك " مثلثة الفاء ، ولكن المعروف الفرق بين الألفاظ الثلاثة ، فالمفتوح الشد والربط ، والمضموم، هو القهر والتسلط على من يتأتى منه الطاعة ، والمكسور ، هو التسلط على من يتأتى منه الطاعة ، ومن لا يتأتى منه ، فيكون بين المكسور والمضموم عموم وخصوص[2].

ومن الألفاظ فى فاتحة الكتاب " إياك " قال الشوكانى[3] قرأ السبعة وغيرهم بتشديد الياء ، وقرأ أبو السوار الغنوى " هياك " وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها ، مع الكسر ، وقرأ الفضل والرقاشى بفتح الهمزة " فالتبادل بين الحركات فى أول الكلمة ، جاءت به القراءات ،كان بين كسر الأول ، ثم فتحه ، ثم إبداله هاء ، بالتشديد ، والتخفيف ، وهو ما أورده السمين الحلبى [4] .

ومن الألفاظ التى تبادل فيها الفتح والكسر فى فاتحة الكتاب ، قوله تعالى { نَستعين } القراءة المشهورة ، بفتح النون ، وقرئ "

---

(١) البحر المحيط ج١ ص: ٢٠ .
(٢) الدر المصون ج١ ص: ٦٩ .
(٣) تفسير فتح القدير ج١ ص: ٢٢ .
(٤) الدر المصون ج١ ص: ٧٤ .

نستعين " بكسر النون ، لحرف المضارعة ، وهى لغة مطردة فى حروف المضارعة ،وذلك بشرط ألا يكون حرف المضارعة ياء للثقل [1]

ومن الألفاظ فى فاتحة الكتاب قوله تعالى { عليهُم } قال السمين الحلبى :" والأصل فى هاء الكناية الضم ، فإن تقدمها ياء ساكنة أو كسرة ، وكسرها غير الحجازيين ، نحو : عليهِم ، وفيهِم ، وبهِم" والمشهور فى ميمها السكون قبل متحرك ، والكسر قبل ساكن ، هذا إذا كسرت الهاء ، أما إذا ضمت ، فالكسر ممتنع إلا فى ضرورة ، كقوله: "وفيهم الحكام " بكسر الميم ، وفى " عليهم " عشر لغات قرئ ببعضها : عليهم بكسر الهاء وضمها مع سكون الميم ، عليهمى ، عليهم ، عليهمو، بكسر الهاء وضم الميم بزيادة الواو و " عليهمى" بضم الهاء ، وزيادة ياء بعد الميم ، أوبالكسرة فقط "عليهم " بكسر عليهم ،عليهيمو، بكسر الهاء وضم الميم ، ذكر ذلك ابن الأنبارى[2] قال الشوكانى :" عن الحسن أنه كان يقرأ " عليهمى " بكسر الهاء والميم وإثبات الياء ، وعن الأعرج أنه كان يقرأ " عليهمو " بضم الهاء والميم وإلحاق الواو ، وعن أبى إسحاق أنه قرأ " عليهُمُ " بضم الهاء والميم من غير إلحاق واو[3] وهكذا تعددت الألفاظ التى تبادلت فيها الحركات ، ولم تكن هذه الألفاظ ، تتبع قبيلة واحدة ، لكنها تتبع قبائل متعددة ، يتضح ذلك من تعدد

---

(١) الدر المصون ج١ ص :٧٦ .
(٢) الدر المصون ج١ ص: ٨٣ .
(٣) فتح القدير ج١ ص: ٢٥ .

القــراءات القرآنية لها ، وقد تتابعت الحركات فى الألفاظ السابقة ، حتى كانت تصل فى بعض الأحيان إلى الحركات الطويلة ، فالمقصود بالتبادل بيــن الحــركات القصيرة ، بيد أنه كانت تبدل الضمة من الفتحة ، ويتم أشباعها حتى تصل إلى الحركة الطويلة " الواو " وهلم جر " والخلاصة " إن التــتابع والتبادل بين الأصوات الصائته لا تلجأ إليه اللهجة الواحدة ، إذا إنه مظهر من مظاهر اختلاف اللهجات ، بين الفتح والكسر والضم ، والدلــيل على ذلك أن تلك الظاهرة مازالت شائعة فى اللهجات الحديثة ، فعندنا يقولون " كِبِير " و " جِمِيل " و " مَصِرْ " وفى لهجة غيرنا :"كَبِير" و" وجَمِيل " و " مَصْر " وهكذا .

المطلب الثاني : (الإدغـــام)

لقـد اشـتملت فاتحة الكتاب على ظواهر لغوية كثيرة ومتعدده ، بـيد أنهـا جميعا تهدف إلى التيسير والسهولة فى النطق ، ولاغرو فى ذلـك، ففاتحة الكتاب من أكثر سور القرآن قراءة ، لا نكون مبالغين إن قلـنا : إنها من أكثر سور القرآن حفظا ، ولم لا و هى من شروط صحة العـبادة[1] ، حتى على غير أهل اللغة العربية ، وعلى ضوء ذلك فليس مـن الغريـب أن نجد فى تلك السورة كثيرا من الظواهر اللغوية ، ومن أبـرز الظواهـر التى تهدف إلى التسهيل ، ظاهرة الإدغام ، حيث إنها : "تجعـل مـن الحرفين حرفا واحدا مشددا ، يرتفع اللسان عند النطق به ارتفاعـة واحدة ، هذا ما قاله القراء[2] " وهم خير من يصف الإدغام فى القـرآن الكـريم وقد عرفه اللغويون : "بأنه ضرب من التأثير الذى يقع بين الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة ، أو متجانسة ، أو متقاربة [3] وقد قسمه المحدثون إلى قسمين [4] :-

الأول : رجعى ، فيه يتأثر الصوت الثانى بالأول .

---

(١) ينظر : تفسير الفخر الرازى ج١ ص: ١٨٢.
(٢) نهاية القول المفيد فى علم التجويد ، محمد مكى نصر ، ص: ١٠٤ . ط الحلبى
(٣) ينظر : فى اللهجات العربية ص : ٧٠ ، واللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص : ١٢٦
(٤) ينظر : اللهجات العربية ص :٧٠ ، بتصرف .

الثانى : تقدمى ، وفيه يتأثر الصوت الأول بالثانى .

وقد علل المحدثون وقوع الإدغام بحالة التلاصق بين الحروف دون حاجز من حركة أو حرف ، ومن ثم فسبب الإدغام هو ثقل النطق ، لذا طلب التخفيف بحذف الحركة بعد الحرف الأول ثم الإدغام ، وهو ما صيغ فى قانون عرف بقانون " الحد الأدنى من الجهد "[1] ومن هنا كان لابد من وجود العلاقة الصوتية التى تسوغ الإدغام، وذلك حينما يتوالى صوتان متماثلان فى كلمة واحدة أو كلمتين ، إذا كان الأول مشكلا بالسكون ، والثانى محركا ، والهدف من الإدغام ، هو تحقيق حد أدنى من السهولة ، وذلك عن طريق تجنب الحركات النطقية التى يمكن الاستغناء عنها[2].

وبذلك يتحقق نوع من الانسجام بين الأصوات[3] وقد نسب الرواة ظاهرة الإدغام إلى القبائل التميمة، كما نسبوا الإظهار إلى القبائل الحجازية ، فقد جاء عنهم:" الإدغام تميمى، والإظهار حجازى[4] ومما يؤكد وجود الإدغام فى البيئة التميمية ما جاء عن الفراء من أنهم كانوا يقولون :"عبشمش " فى " عبد شمس " وكان غيرهم يقول " عبد شمس، غير إدغام[5] . ويتضح من أقوال علماء النحو واللغة أن الإدغام كان

---

(١) من محاضرة لأستاذنا الدكتور / إبراهيم ابو سكين
(٢) ينظر : دراسة الصوت اللغوى ص : ٣٨٧ بتصرف .
(٣) ينظر : اللهجات العربية فى التراث ص : ٢٩٤ بتصرف .
(٣) ينظر : لغة هذيل ص: ١٣٤ بتصرف .
(٤) ينظر اللهجات العربية فى التراث ص : ٣٠٣ بتصرف .

تمـــيم ، وقـــيس ، وأســـد ، ولكن بالتصدى للنصوص ، يظهر بجلاء أن الإدغـــام كان يغطى منطقة أوسع من التى حددها النحاة واللغويون ، فقد تبيـــن أن الإدغـــام وجد فى قبائل ، عقيل ، وعامر بن صعصعه ، وبنى عجـــل ، وهـــم بطن من بكر بن وائل كما ظهر فى بكر بن وائل نفسها ، كمـــا بـــدت ســـماته واضحة فى بلعنبر ، وبنى سعد بن زيد بن مناة من تميم[1].

.وعلـــى ضوء ما سبق فإليك ما ورد من صور الإدغام فى فاتحة الكتاب وذلك على النحو التالى

من صور الإدغام فى فاتحة الكتاب :

الصورة الأولى: إدغام المثلين فى كلمة واحدة :-

ومـــن ذلـــك فى فاتحة الكتاب لفظ الجلالة " اللّه " فى " بسم الله" و"الحمـــد للّه " فنحن نرى أن اللام مشددة ، وليس هناك من سبب سوى الإدغـــام ، فقـــد التقى لامان ، لام التعريف ، وهى ساكنة ، والثانية لام الأصـــل ، وهى متحركة ، وإذا التقى حرفان مثلان من الحروف ، وكان أولهمـــا ســـاكنا والثانى متحركا ، أدغم الساكن فى المتحرك ضرورة ، ســـواء كانا فى كلمتين أو كلمة واحدة ، ومثالة فى الكلمتين " فما ربحت تجارتهم " وقوله تعالى { وما بكم من نعمة } .

والتفســـير الصـــوتى للإدغـــام فى لفظ الجلالة " الله " أنه التقى

---

(١) ينظر : المرجع السابق ص ٣١٣ ، بتصرف .

صـــوتان متماثلان فى كلمة واحدة فأدغم أحدهما فى الآخر تخفيفا للجهد العضـــلى لأعضاء النطق ، والعلة هنا هى : أن النطق بالمثلين يتطلب – فى حالة الفك – أربعة تحركات [1] أمامى، وخلفى ، وكذلك المثل الثانى، أمامى وخلقى ، فلما حدث الإدغام ، قامت أعضاء النطق بتحركين فقط ، أمـــامى وخلفـــى ، وهذا النوع من الإدغام يعد من أكثر أنواع الإدغام ؛ ولـــذا فـــإن تعريف المحدثين للإدغام يكاد يقتصر على هذا النوع ، يفهم ذلـــك مـــن تعـــريف بعضـــهم للإدغـــام بأنه :" تأثير يقع بين الأصوات المماثلـــة"[2] كمـــا أطلق عليه بعضهم " التشابه "[3] وعند البعض الآخر: "المماثلة"[4] ويتضح من هذه المصطلحات ، أن المتماثلين من أكثر أنواع الإدغـــام ، وهـــو كذلـــك حقـــا ، إذ هو الأصل فى الإدغام ومن المثلين المدغميـــن فـــى فاتحـــة الكـــتاب " الدال " فى قوله تعالى { يوم الدِين } بتشـــديد الـــدال ، وأيضا اللام فى " الَذين " والضاد فى " ولا الَضالين " والـــياء فى قوله تعالى { إِياك } والصاد فى قوله تعالى { الصِراط } فى قـــراءة من قرأ بها ، والسين فى قراءة " السِراط " والزاى فى قراءة من قـــرأ " الـــزِراط " ففى كل ذلك التقى حرفان متماثلان متجاوران فى كلمة واحـــدة ، فـــأدغم كـــل منهما فى الأخر ، واصبحا حرفاً واحدا مشددا ،

---

(١) ينظر : علم التجويد القرآنى فى ضوء الدراسات الصوتية الحديثة ص: ١٨٧ .
(٢) ينظر : التطور النحوى ص: ٢٨ .
(٣) ينظر : دراسة الصوت اللغوى ص : ٣٨٧ .
(٤) ينظر : علم التجويد القرآنى ص : ١٧٨ . بتصرف .

يـرتفع اللسـان عند النطق به ارتفاعة واحدة ، والقصد من ذلك ، هو التيسـير والسهولة على الناطقين ، لأن فك إدغام تلك الحروف سيترتب علـيه نطـق كـل مثل من المثلين ، وكل مثل يتطلب لنطقه ضربتين : ضـربة أمامـية ، وضربة خلفية ، الأمامية وهى التى تأخذ فيها أعضاء الـنطق الوضـع المطلوب لنطق المثل الأول ، والخلفية وهى التى تعود فـيها أعضـاء الـنطق إلى وضع الراحة ، ويحدث ذلك بعد انتهاء فترة الغلـق أو التضييق ، والذى حدث للمثل الأول يحدث للمثل الثانى ، وهذا يعـنى أن نطـق المثليـن المتجاوريـن دون إدغام يتطلب القيام بأربعة تحركات – كما أسلفت – وهذا العمل فيه من الصعوبة ما فيه .

الصورة الثانية :

وتشمل هذه الصورة الإدغام الذى يقع بين الصوتين المتقاربين، ومـن أمـثلة هذا النوع فى فاتحة الكتاب قوله تعالى {الرَحمن الرَحيم } بتشـديد الراء ، لأجل الإدغام ، وهو إدغام لام التعريف فى الراء ، ولا خلاف بين القراء فى لزوم إدغام لام التعريف فى اللام ، وفى ثلاثة عشر حـرفا سـواه ، وهـى :" الصـاد ، والضاد ، والتاء والثاء ، والنون ، والسـين والشـين ،، والدال والذال ، والراء والزاى ، والطاء والظاء ، كقولـه تعـالى { التائـبون العـابدون الحـامدون السائحون الراكعون السـاجدون الأمرون بالمعروف } والعلة الموجبة للإدغام اللام فى الراء فـى لفـظ { الرحمن } ، هى قرب المخرج ، حيث إن اللام ، تخرج من

طـرف اللسان ، وما يقرب منه ، فحسن الإدغام ، ولا خلاف بين القراء فـي امتـناع الإدغام فى لام التعريف عند سوى الحروف المذكورة وهى الـثلاثة عشر،ومن أمثلة امتناع الإدغام قوله تعالى {العابدون الحامدون الأمـرون بالمعـروف } حيث تقرأ كلها بالإظهار ، وإنما لم يجز الإدغام فيها، لبعد المخرج ، فإنه إذا بعد مخرج الحرف الأول عن مخرج الحرف الـثانى ، ثقل النطق بهما دفعة واحدة ، فوجب تميز كل واحد منهما عن الآخـر ، بخـلاف الحرفين اللذين يقترب مخرجاهما ، لأن التميز بينهما مشـكل صعب[1] وأهم ما يسوغ الإبدال بين لام التعريف والراء ، هو أن هذيـن الحرفيـن ، بالأضـافة إلى " الميم ، والنون " تجمع بينهم صفة الوضـوح السـمعى لأن الهواء معهم يتم غلقه فى نقطة ، ويسمح لـه بالمـرور من نقطة آخرى ، ولذلك فلا عجب أن يطلق أحد الباحثين على هذه الأصوات " أشباه الحركات " .

الصورة الثالثة :

ونعـنى بها الإدغام بين المثلين فى كلمتين ، ومن ذلك فى فاتحة الكتاب ، قوله تعالى { الرحمن الرحيم مالك يوم الدين } فالإدغام هنا بين " ميم الرحيم ، و ميم مالك " وهما صوتان متماثلان متجاوران ، لذا كان فـى نطقهما دفعة واحدة فى حالة الإدغام ، نوع من الخفة والسهولة ، حيـث إن عمـل اللسـان هـنا من وجه واحد ، ولو أن هذين الصوتين

---

(١) ينظر : تفسير الفخر الرازى ج١ ص: ١١٢ مجلد الأول .

المتماثليـــن المتجاوزيـــن ، لم يدغما ، لترتب على ذلك عمل اللسان من وجهيـــن ، كمـــا وضـــحت ذلك من قبل ، فكل صوت ، يحتاج نطقه إلى تحركين ، أمامى وخلفى ، وهذا هو العلة فى الإدغام ، حيث يحقق نوعا من السهولة(١) .

الإمـــالـــة

وهى عند القدماء " أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، فتميل الألف التى بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت " (٢) ومن أسباب الإمالة عـــند العلماء : الكسرة والياء قبل أو بعده " نحو عالم ، وسالم ، ومنها أن يكـــون الحـــرف منقلبا أو شبيها بالمنقلب ، نحو : رحى ، حبارى،(٣) والغرض من الإمالة ، تجانس أصوات اللين(٤) وهو ما يسمى : الانسجام بيـــن الأصـــوات ، وعلـــى ضوء ما سبق يثور سؤال : هل وردت بعض الألفاظ الممالة فى فاتحة الكتاب ؟

وللإجابـــة عـــن ذلـــك أقول : تكاد تخلو الإمالة من ألفاظ فاتحة الكتاب ، ألا ما ورد عن الإمام الفخر الرازى بقوله :" أجمعوا على أنه لا يمـــال لفـــظ { الرحمن } وهذا القول هو الأظهر والأقوى ، وينسب هذا

---

(١) ينظر : اللهجات العربية فى التراث.ص : ٢٩٤ بتصرف و علم التجويد القرآنى ص: ١٨٧ إلى ١٨٩ و فى اللهجات العربية ص: ١٣٤ و دراسة الصوت اللغوى ص: ٣٨٧ بتصرف

(٢) سر صناعة الأعراب :ج١ ص: ٥٢ ، من أسرار العربية ص: ٤٠٦ ، الأصول فى النحو ج٣ ص: ١٦٠ .

(٣) الكتاب ج٤ ص: ١١٨ ، ١١٩ .

(٤) ينظر : فى اللهجات العربية ص: ٦٨ بتصرف .

القــول للنحويين ، والقول الثانى ، لعله لسيبويه ، وهو جواز الإمالة فى لفــظ { الرحمــن } والعلة هى انكسار النون بعد الألف[1] ، ويتضح مما ســبق أن الإمالــة فى لفظ { الرحمن } كانت مثار خلاف بين العلماء ، والجمهــرة مــنهم نصت على عدم إمالته ، أما من أجاز الإمالة ، وهو ســيبويه ،فعلى اعتبار وجود النون المكسورة بعد الألف ، وهى القاعدة العامــة للإمالة ، ويبدو لى أن الإمالة هنا لا تحسن ، لأن الإمالة تحتاج إلــى مطل الصوت الممال ، حيث إنه فى حالة نزول من أعلى إلى أسفل مــع مــيل ، ووجــود لفظ { الرحيم } عقب { الرحمن } يحتاج إلى خفة وسرعة فى نطق الألف فى { الرحمن } ولذا فلم تكتب هذه الألف ، وكأن عــدم كتابتها دلالة على عدم طولها فى النطق ، ومن ثم كان قصر لفظ {الرحمــن} دون إمالة ، فالإمالة فيه ثقيلة ، حيث المد القصير للألف فى زمن النطق ، والإمالة هدفها الخفة والسهولة ، وهو ما يتنافى مع نطق { الرحمــن الرحيم } و ربما لو وقف على { الرحمن } لجازت الإمالة ، لكن كيف نقف على كسرة، ومن الألفاظ التى جاءت فى فاتحة الكتاب ما قرأه يحيى بن يعمر، وأيوب: فى قوله تعالى " مالك " بالإمالة البليغة[2]، حيــث الألــف مفــتوح ما قبلها ، مكسور ما بعدها ، بيد أن الإمالة هنا ليســت موضع اتفاق، بل تمثل قراءة قليلة، وبناء على ما سبق أستطيع

---

(١) ينظر : تفسير الفخر الرازى ج١ ص : ١١٢ بتصرف .
(٢) ينظر : الدر المصون ج١ ص: ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ و البحر المحيط ج١ ص: ٢٠ .

القــول : بــأن الإمالــة لــم ترد فى ألفاظ فاتحة الكتاب ، ألا فى هذين اللفظيــن ، وعلى خلاف بين العلماء ، فكل من اللفظيين ، يمثل ، قراءة أى ، ربما تكون لهجة ضعيفة غير معروفة .

القلب المكانى

وهــو ظاهرة صوتية قديمة تحدث عنها علماؤنا القدماء ، يقول ابن فــارس :" ومن سنن العرب القلب ، وذلك يكون فى الكلمة ، ويكون فى القصــة ، فأما الكلمة فقولهم : جذب ، وجبذ ، ولبك ، وبكل ، وهو كثير وقد صنفه العلماء [1] ويقول ابن جنى :" إعلم أن كل أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه ، فهو القياس الذى لا يجوز غيره ، وإن لم يكن ذلك حكمــت بــأن أحدهما مقلوب عن صاحبه ، ثم أريت أيهما الأصل وأيهما الفرع ..... فمما تركيباه أصلان لا قلب فيهما ، قولهم :" جذب ، وجبذ ، وذلك أنهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا ، نحو جذب ، يجذب ، جذبا ، فهــو جــاذب ، والمفعــول مجــذوب ، وجبذ ، يجبذ ، جبذا ،[2] ويقول الحريــرى :" وأمــا قولهم : جذب ، وجبذ ، فليست هاتان اللفظتان عند المحققين من النحويين من قبيل القلب ، كما ذكرهما أهل اللغة ، بل هما لغــتان ، وكــل واحدة منهما أصل فى نفسها ...." [3] ومن ثم فالحريرى يرد القلب المكانى إلى اختلاف اللهجات ، ويعرفه المحدثون بقولهم:"هو

---

(١) الصاحبى فى فقه اللغه ص : ٣٣٩ .
(٢) الخصائص ج٢ ص: ١٧ .
(٣) ينظر : التطور اللغوى ص: ٩٣ بتصرف .

تقديم وتأخير فى بعض أصوات الكلمة على بعض ، لصعوبة التتابع الأصلي على الذوق اللغوى "[1] ومن أهم أسباب القلب ، توخى السهولة والرغبة فى التيسير على الناطقين[2]

القلب المكانى فى فاتحة الكتاب :

لم يرد من ألفاظ القلب المكانى فى فاتحة الكتاب ألا ما أورده السمين الحلبى بقوله :" وقيل : الحمد ، مقلوب المدح ، وليس بسديد ، وإن كان منقولا عن ثعلب ، لأن المقلوب أقل استعمالا من المقلوب منه، وهذان مستويان فى الاستعمال ، فليس ادعاء قلب أحدهما من الآخر أولى من العكس ، فكانا مادتين مستقلتين " [3].

وبناء على ما سبق يعد السمين الحلبى تابعا لابن جنى ، سالكا مسلكه فى الأخذ بقاعدة الأصالة والفرعية بين المقلوبين ، ويبدو أيضا أن القلب المكانى يرجع فى معظمه إلى اختلاف اللهجات ، وفى نهاية المطاف ، فلم أجد بين ألفاظ فاتحة الكتاب ألا هذه هى الكلمة التى تمثل ظاهرة القلب المكانى .

الهمز والتسهيل

تعد الهمزة من أكثر الأصوات شدة ، والنطق بها محققة يعد من أشق العمليات الصوتية[4] ومن ثم فقد كان النطق بها وهى على هذا

---

(١) ينظر : السابق ص : ٨٨ .
(٢) ينظر : اللهجات العربية فى التراث ص : ٦٥٤ بتصرف .
(٣) الدر المصون : ج١ ص: ٦٣ .
(٤) ينظر : فى اللهجات العربية ص :٧٧ بتصرف .

النحو سببا فى جعل العرب تبعا لاختلاف بيئاتهم ، يسلكون طرائق مختلفة، ومسالك متعددة فى نطق الهمزة حذفا أو إثباتا[1] وبالنظر فى تراثنا اللهجى ، وأيضا فى لهجاتنا المعاصرة فى الأقطار العربية نرى بعض اللهجات تحقق الهمزة ، وبعضها الآخر يسهل ، وهذا بلا أدنى ريب قد يفسر لنا اختلاف القبائل العربية الوافدة على مختلف أقطارنا العربية ، وأن ظاهرتى الهمز والتسهيل فى لهجاتنا المعاصرة ، ما هى إلا امتداد للهجات العربية القديمة التى ورثناها عن أسلافنا [2] وقد نسبت الروايات تحقيق الهمزة لتميم وغيرها من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، أما التخلص من الهمزة بالحذف ، أو التسهيل ، فقد نسبها الرواة لمعظم البيئة الحجازية[3] ويتضح من تلك الروايات أن قبائل البدو تجنح إلى تحقيق الهمزة ، أما القبائل الحضرية فقد مالت إلى التخلص منها[4].

وعلى ضوء ذلك فقد تتبعت مفردات فاتحة الكتاب، فوجدتها كالتالى: بالنسبة للهمزة فى فاتحة الكتاب يمكن تصنيفها إلى نوعين:

النوع الأول:

تحقيق الهمزة ، ويشمل معظم المفردات المهموزة ، مثل الهمزة فى " إياك " على المشهور ، والهمزة المحققه فى قوله تعالى " أنعمت "

---

(١) ينظر : لغة هذيل ص : ٨٣ بتصرف .
(٢) ينظر : اللهجات العربية فى التراث ص :٣١٧ بتصرف .
(٣) ينظر : فى اللهجات العربية ص : ٧٦ بتصرف .
(٤) ينظر : اللهجات العربية فى التراث ص : ٣٣٦ بتصرف .

باتفاق ، والهمزة الممدودة أو المدة المهموزة فى " آمين ".

النوع الثانى:

ويمـــثل قلـــة قليلة لا تأتى إلا من خلال قراءة لا تصل إلى درجة الإجماع ، وهو تسهيل الهمزة ، إذا إنها فى سورة فاتحة الكتاب – يعنى الهمـــزة – لم تخفف فى القراءة المشهورة أما قراءة " هياك " فقد أبدلت فـــيها الهمـــزة هاء ولا يعد هذا النوع تخفيفا للهمزة ، بيد أنه لهجة لا يمكـــن لأحـــد أن يـــنكرها ، فكذلك تسهيل الهمزة – إن وجد – فسيكون لهجـــة من اللهجات القديمة وربما كانت رواية " وياك " فى " إياك " مثلا لظاهرة تسهل الهمزة بقلبها إلى حرف مد مجانس لحركتها إذا كانت فى أول الكلمـــة ، كما حدث فى " إشاح " التى صارت " وشاح " أو العكس ، فهمـــا لهجتان ولا شك ، فربما كانت رواية " وياك " و " إياك " فى فاتحة الكـــتاب ، مـــن قبـــيل اختلاف اللهجات ، بيد أن الهمزة فى " إياك " هى الأشـــهر و الأكـــثر أما قراءة إبدال الهمزة واوا ، فهى قليلة نادرة ، لم يشـــر إلـــيها أبو حيان ، عن صاحب اللوامح[1] والدليل على ما أقول إن "إياك" فى غير القرآن الكريم ، حينما تستعمل ضمير منفصل للمخاطب ، فإنها فى مصر تنطق " وياك " بكسر الواو وتشديد الياء و " وياك " بفتح الـــواو وتشـــديد الـــياء الأولـــى بكسر الواو ، وهى التى تشيع فى نطق القاهريـــن، فكـــم نســـمع منهم " اعمل إيه وياك " أما " وياك " بالكسر

(١) ينظر : الحديث عن إبدال الهمزة واوا : البحر المحيط ج١ ص :٢٣ .

للواو، فتشيع فى نطق صعيد مصر ، حيث إنى أسمعها كثيرا فى لهجتى المحلية " خدنى وياك " وتستعمل كذلك فى ضمير المتكلم والغائب ، فعندنا يقولون :" ويانا " وورياك " و " وياه " و " وياهم " واللهجة القاهرية على هذا النحو ايضا بخلا ف فتح الواو فى تلك الضمائر المنفصلة للغائب او الغائبة او المتكلم ومن ثم ، نستطيع القول بوجود هذه اللهجة قديما ، ولكن ربما لا تكون فى الضمائر جميعا الا كما جاء فى قراءة " وياك نعبد " وهى نادرة ، وهناك ظاهرة تثير الانتباه بصدد الهمز والتحقيق فى فاتحة الكتاب ، ويتجلى ذلك فى قراءة من قرأ " الضألين " بالهمزة ، ومما لا شك فيه أن تلك الهمزة قد وضعت فى غير موضعها ، فليست الألف المدية فى " الضالين " تقبل الهمزة أصلا أو وضعا ، وقد وجدت تلك الظاهرة عند بعض العرب ، وأوردها بعض الرواة وسموها " همز مالا يهمز " قال أبو حيان[1] وقرأ أيوب " ولا الضألين " بإبدال الألف همزة ، فرارا من التقاء الساكنين ، وقال: "وحكى أبوزيد " دأبه ، وشأبه " فى كتاب الهمز ، وجاءت منه ألفاظ ، ومع ذلك فلا يقاس هذا الإبدال ، لأنه لم يكثر كثرة توجب القياس ، وقد نص على عدم جواز قياسه ، بعض النحويون ، قال أبوزيد : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ " { فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جأن }[2] فظننته قد

---

(١) البحر المحيط ج١ ص: ٢٣ .
(٢) سورة الرحمن ، آية :٣٩ .

لحن، حتى سمعت من العرب " دأبه ، وشأبه ، قال أبو الفتح " إنها لغة ، ينبغى أن ينقاس عليها ، وقال السمين الحلبى[1]

وقرئ شاذا بهمز الألف " الضألين " وأنشدوا :

وللأرض أما سودها فتجللت بياضا وأما بيضها فادهأمت

:" فعلوا ذلك للجد فى الهرب من التقاء الساكنين ، وقد فعلوا ذلك حيث لا ساكنان ، فقيل :هامة هذا العألم ، بهمز العالم:

قـــال السمين : والظاهر أنها لغة مطردة ، فإنهم قالوا فى قراءة ابـــن ذكوان : منسأته ساكنة ، إن أصلها ألف فقلبت همزة ساكنه ، وقد سماها بعض القدماء " نبر الهمز " وهو توتر حنجرى عند النطق بصوت الليـــن يسمع كأنه همز ، وقد رويت هذه الظاهرة عن البدو قديما ، كبنى كلـــب مـــن قضـــاعة ، كمـــا تسمع الأن لدى بعض البدو ، ومن أمثلتها المروية القديمة نطق (العألم) فى العالم و (ولا الضألين)[2].

(١) الدر المصون للسمين ج١ ص: ٨٥ ، ٨٦ .
(٢) انظر سر صناعة الإعراب : ج١ ص ٨٢ وما بعدها ، والخصائص ج٣ ص١٤٥، والمحتسب ج١ ص٤٦ ، ٤٧ .

الحمـــد لله رب العالميـــن والصـــلاة والســـلام على سيد الخلق والمرسلين سيدنا محمد النبى الأمى ، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

أما بعـــد:

فـــبعون من الله فرغت من دراسة الأصوات فى فاتحة الكتاب ولا أدعى أننى جمعت فأحصيت ، ولا تناولت فأكملت ، أو بحثت فما تركت ، إذ الكمال لله وحده ، والقرآن الكريم غالب غير مغلوب ، وملئ بالأسرار التى لا تنتهى ، وهى الحكمة البالغة ، كى لا يتوقف العطاء ، فلا يتوقف الأخـــذ والطلـــب ، ولكـــن حســـبى ما وصلت إليه من قضايا صوتيه ، وقـــراءات قرآنـــية ، وظواهـــر لهجية ، فالسورة على الرغم من قصر ألفاظهـــا ، إلا أنهـــا تمتلئ بالقضايا التى يصعب على الدارس حصرها ، وهـــذا ما دعانى إلى قصر بحثى المتواضع هذا على الأصوات في فاتحة الكتاب ، وربما أكون قد وصلت إلى بعض النتائج التى قد تكون جديدة ، وإن كان بعضها منصوصا عليه ، بيد أنى حاولت جاهدا التصدى لكل ما هو من قبيل الأصوات ، وتنبع هذه النتائج من قيمة تلك السورة ومقامها العظيم ، وإليك بعض النتائج على النحو التالى :-

اهم النتائج التى توصل إليها البحث :

أولا : كثرت القراءات القرآنية فى فاتحة الكتاب كثرة تكاد تفوق غيرها من آيات القرآن الكريم ، ومن المقرر والثابت أن كثرة هذه القراءات دليل وشاهد على تعدد اللهجات[1] ، ومن ثم فكل صورة نطقية لقراءة من القراءات ، ما هى إلا لهجة عربية قديمة ، سواء نسبها الرواة أو لم ينسبوها ، وسواء أكثرت هذه اللهجات أم كانت نادرة ، إنما تمثل لهجات عربية كانت موجودة فى بلاد العرب قبل الإسلام ، ولما جاء الإسلام نزل القرآن الكريم بهذه اللهجات، من أجل التيسير فى النطق والدليل على ذلك، أن لنا أن نقول: "من أين جاءت تلك القراءات، وما مصادرها، وما السر وراء تعددها، وما شروط قبول القراءة ؟؟

أن الإجابة عن تلكم الأسئلة ستكون بما نعرفه جيدا ، أنها لهجات عربية ولا شك ، أما عن أسباب تعدد القراءات ، فهو بتعدد اللهجات ، وأما عن مصادرها ، فهم النحويون واللغويون والقراء والمفسرون ، وأما عن شروط قبول القراءة ، فأدناها ، موافقة العربية ولو بوجه ، وعلى ضوء ذلك فليس لنا من سبيل سوى الإذعان والتسليم بأن كثرة القراءات فى فاتحة الكتاب ، أنما هى من كثرة ما ورد فيها من لهجات ، ولعل أقرب تفسير علمى ، أن فاتحة الكتاب شرط لصحة الصلاة ، ومن ثم كانت قراءتها وحفظها واجبة على كل مسلم ، من أى قبيلة كان ، فبعلم

---

(١) ينظر : اللهجات العربية والقراءات القرآنية ص: ٦٩ بتصرف .

الله سبحانه وتعالى ، باحتمال البشر ، أودع هذه السورة معظم اللهجات العربية التى كانت موجودة فى جزيرة العرب ، بمختلف بيئاتها ، وذلك من باب التيسير على الناطقين بالعربية ، على مختلف مشاربهم وثقافاتهم ، ولا يمنع ذلك من وجود بعض اللهجات الضعيفة ، أو النادرة، أو الشاذة، فمناط الأمر، موافقة العربية ولو بوجه، والله أعلم.

ثانيا : تكاد تمتلئ ألفاظ الفاتحة بالمقاطع الطويلة ، حيث شكلت الصوائت جزءا مهما من أبنيتها ، وهو ما أضفى على تلك السورة قيمة صوتية خاصة ، ناهيك عن ما خلعته الفواصل على آيات السورة من جمال وجلال ، وهو ما يجعل من فاتحة الكتاب منظومة من العظمة والبهاء ، فالمعانى التى تحتويها تلك السورة ، متناسبة ومتسقة مع أصواتها ، وعدد مقاطعها ، وترتيب آياتها ، وتعاقب فواصلها ، وانسجام حركاتها ، وتباين قراءاتها ، وتعدد لهجاتها ، باختلاف صورها وهيئاتها ، حتى أن اللسان لا يكاد يقف عند نطق " الحمد لله رب العالمين" حتى تراه يكمل " الرحمن الرحيم " وهلم جرا .

ثالثا : على ضوء حصر واستقراء الأصوات الصامته التى تشكلت منها كلمات فاتحة الكتاب، تبين أن السورة قد خلت من الأصوات الاسنانية، سوى الذال، حيث وردت فى لفظ الذين، أما بقية الأصوات الأسنانية (الثاء ، الظاء) فلم يرد لها ذكر فى فاتحة الكتاب، حتى فى قراءة

الإشـــمام ، وهى التى تنطق بحرف بين (الصاد والزاى) وهو ما أطلق عليه ابن سينا الزاى الطائية، فقد أكد بعض المحدثين أن الزاى فى هذه الحالـــة تشـــبه نطـــق العوام للظاء، فى مثل كلمة (ظلم) أقول أن تلك القـــراءة بما يشبه الظاء، لا تعد الظاء فيها من الأصوات الأسنانية التى لابد فيها من خروج اللسان إلى الأمام ووضعه بين الأسنان، وهذا العمل فـــيه مـــن الصعوبة ما فيه، ومن ثم أختار الله تعالى لهذه السورة اليسر والســـهولة، فأوجد فيها الأصوات التى تتسم بالخفة أكثر من التى تتسم بالثقل وهذا الذى حدث فى فاتحة الكتاب، لـــه نظيره فى معظم اللهجات الحديـــثة، حيـــث اختفـــت الأصوات الأسنانية فيها، وحل محلها أصوات أخـــرى لا تتطلـــب وضع اللسان بين الأسنان، وليس هناك من سبب فى اختفاء تلك الأصوات إلا توخى السهولة واليسر فى النطق بين اللاهجين فـــى حـــياتهم اليومية، وهو ما يدعوهم إلى استعمال السهل الخفيف من الأصـــوات والعـــدول عـــن الصـــعب العسير فى النطق، والمثال هنا مع الفارق.

توصـــية

علـــى هدى ما قرأت فى تلك السورة ، تبين لى وجود العديد والعديد من الصور النطقية ، التى تعبر عن العديد والعديد من اللهجات العربية ، بيد أن معظـــم تلـــك الظواهر غير منسوب إلى قبائله ، أو بيئاته الأصلية ، ومـــن ثم فإن البحث يوصى بتقنين تلك الظواهر اللهجية ، وعزوها إلى أماكـــنها ، بدقة بالغة ، فلو أن أحد الباحثين توفر على دراسة اللهجات العربـــية فى فاتحة الكتاب ، دراسة تاريخية وصفية ، مع مراعاة الأخذ فـــى الاعتبار ، توثيق وعزو اللهجات إلى قبائلها قدر الإمكان ، فسيكون ذلـــك خدمة جليلة للغة العربية التى تخدم القرآن الكريم ، وأيضا فالنفع من وراء تلك الدراسة سيعم الباحثين جميعا ، فى هذا الميدان الفسيح .

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل

دكتور

محمد عباس أحمد موسى

* القرآن الكريم
* أسرار العربية لابن ألا نبارى
* الأصوات اللغوية دكتور/ إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ط السادسة ١٩٨٤م
* أصوات اللغة دكتور / عبد الرحمن أيوب ، مكتبة الشباب القاهرة ، بدون تاريخ
* الأصول فى النحو لأبى بكر محمد بن سهل بن السراج النحوى تحقيق دكتور/عبدالحسين الفتلى ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٨ م
*بحوث ومقالات فى اللغة دكتور / رمضان عبد التواب مكتبة الخانجى ، القاهرة ط الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م
* تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ، دار أحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان
* تفسير الخازن" المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل " ومعه تفسير البغوى " المسمى معالم التنزيل " ط دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥م
* تفسير الفخر الرازى " المسمى التفسير الكبير " أو مفاتيح الغيب ط دار الفكر ١٩٨١م
* التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه دكتور / رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجى القاهرة – دار الرفاعى بالرياض ط الثانية ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م
* التطور النحوى لبراجشتراسر ، تحقيق الدكتور / رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجى – القاهرة ط الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م
* الحجة فى علل القراءات السبع لأبى على الفارسى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م
* الخصائص لابن جنى ، تحقيق ، محمد على النجار ،ط الثالثة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م

* الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبى ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .
* دارسة الصوت اللغوى ، دكتور / أحمد مختار عمر ط عالم الكتب القاهرة ١٩٩١م
* دراسات فى فقه اللغة دكتور / صبحى الصالح – دار العلم للملايين ، بيروت ، ط التاسعة ١٩٨١ م
* سر صناعة الأعراب ، أبو الفتح عثمان ابن جنى ، تحقيق الدكتور/ حسن هنداوى، دار القلم ١٩٩٣م.
* شرح الرضى على الكافية ، تصحيح وتعليق الأستاذ / يوسف حسن عمر ،ط الأولى ١٩٧٨م
* الصحابى فى فقه وسند العرب فى كلاهما : لابن فارس ط،الحلبى وشركاه ، بدون تاريخ .
* علم اللغة دكتور / على عبد الواحد وافى دار نهضة مصر الطبعة الثامنة ، بدون تاريخ .
* علم اللغة العام – الأصوات – الدكتور/ كمال بشر دار المعارف – القاهرة ط الخامسة ١٩٧٩م
* علم اللغة مقدمه للقارئ العربى دكتور / محمود السعران دار الفكر العربى ط الثامنة ١٩٩٢م .
* فتح القدير الجامع بين فنى الرواية فى علم التفسير للإمام محمد بن على الشوكانى دار الفكر بيروت لبنان ١٤٠٣ هـ .
* فقه اللغة ، دكتور / على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر بدون تاريخ.
* فى اللهجات العربية دكتور / إبراهيم انيس مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثامنة ١٩٩٠م
* فى علوم القرآن ، لمناع القطان ،مكتبة وهبة ١٩٩٧ م .
* القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث دكتور / عبد الصبور شاهين مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٩٦ م.
* الكتاب لسيبويه تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الثامنة ١٤٠٣ هـ مكتبة الخانجى القاهرة .
* لغة هذيل دكتور / عبد الجواد الطيب ، بدون تاريخ .
* اللهجات العربية فى التراث دكتور / أحمد علم الدين الجندى الدارالعربية للكتاب ١٩٨٣ م .

* اللهجات العربية فى القراءات القرآنية دكتور/ عبده الراجحى دار المعارف ١٩٦٩ م .
* لهجات العرب دراسة تحليلية، الدكتور / محمد عبد الحفيظ العريان ط الأولى ١٩٩١م
* معالم الأصوات العربية ، الدكتور / عبد المنعم عبد الله محمد و الدكتور/ صلاح الدين محمد قناوى ط الأولى ١٩٩٧ م .
* المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ط الثالثة .
* المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى الدكتور / رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجى ١٩٨٥م .
* المزهر فى علوم اللغة وانواعها للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى شرحه وعلق علي دراسته محمد أحمد جاد المولى ، على محمد النجار ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجبل بيروت ، دار الفكر للطبع والنشر ، بدون تاريخ .
* المصباح المنير تأليف أحمد محمد بن على الفيومى المقرى مكتبة لبنان بدون تاريخ .
* المقطع الصوتى فى ضوء تراثنا اللغوى دكتور/ عبد المنعم عبد الله محمد – ط الأولى ١٩٨٨م.
* من أسرار اللغة دكتور / إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو .
* مناهج البحث فى اللغة دكتور / تمام حسان ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٩٠م .

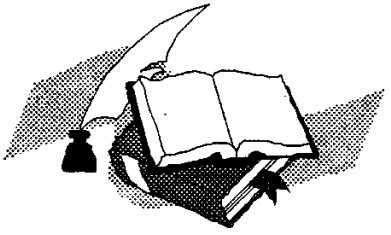

المحتويات

أولا : المقدمة
المبحث الأول : أصوات فاتحة الكتاب دراسة وصفية
المطلب الأول : الأصـــوات الصامتـــه
المطلب الثانى : الأصوات الصائته ، وأنصاف الحركات
المبحث الثانى : من الظواهر الصوتية فى فاتحة الكتاب
المطلب الأول : الإبـــدال
المطلب الثانى : ويشتمل على النقاط التالية:
أولا : الإدغـــام
ثانيا : الإمـــالـــة
ثالثا : القلـب المكانـــى
رابعا : الهمـز و التسهـيل
تعقيب عام : ويتضمن أهم النتائج التى توصل إليها البحث
فهرس المصادر والمراجـع